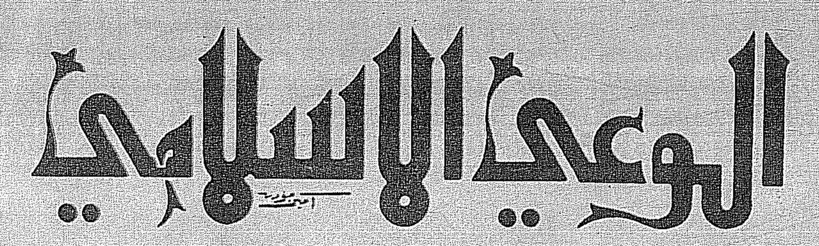


اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ـ العدد ٨٣ ـ ذي القعدة ١٣٩١ هـ ـ ١٩ ديسمبر (كانون اول) ١٩٧١ م

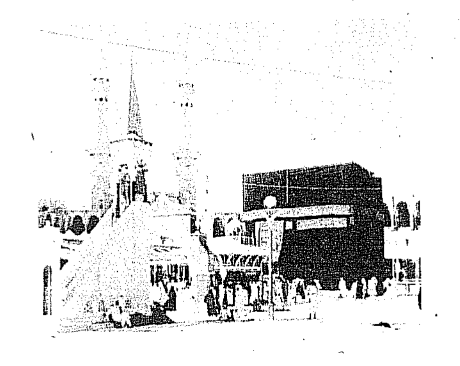
هديتك مع هذا العدد (رسالة الحج)



سمو أمير البلاد المعظم يصافح مهنئيه من رجال السلك الدبلوماسى بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد وذلك فى قصر السيف العامر .



سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وبعض اصحاب السعادة الشيوخ من آل الصباح يتقبلون التهانى من المواطنين بمناسبة عيد الفطر المبارك .



الكعبة المشرفة

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B. 13

السنة السابعة

العدد الثالث والثمانون

غرة ذى القعدة ١٣٩١ هـ

١٩ ديسمبر « كانون الأول » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم



الرجولة

الرجولة مجموعة من الصفات النفسية والخلقية والعقلية تنسقها وتوجهها عقيدة تقدس الحق ، وتفنى فى سبيله ، وتعرف الواجب وتنهض لأدائه مهما كلفها من نصب ، وتهيم بمعالى الأمور ، وتترفع عن سفافها .

وليست الرجولة ارادة قوية تظلم وتبطش ، ولا رحمة رخوة تمالىء فى الحق ، وتجامل على حسابه ، ولا عقلا محتالا يبرر الدنية ، ويتلمس المعاذير لقبول الهوان والصغار .

وتتجلى الرجولة بأكمل معانيها وصورها الحية فى الرجل الاول والنبى الاول والرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ، فحياته كلها كانت عنوانا على الرجولة الحقة ، وهو القائل : والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته .

وما أشد حاجتنا فى هذه الظروف التى تتعرض فيها لأمة الاسلامية لغزو آقطارها قطرا قطرا ، الى التذكير بموقف من المواقف الحاسمة للرسول صلى الله عليه وسلم . اعتصم فيه بالحق ، فلم ينكص عنه لقلة جنده ، ولم يتهيب عدوه لشدة بطشه

روى ابن اسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص : انه حضر قريشا يوما وقد اجتمع أشرافهم فى الحجر ، فذكروا رسول الله ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من امر هذا الرجل قط . سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ... لقد صبرنا على امر عظيم فبينا هم فى ذلك اذ طلع رسول الله ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، فعرف ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : « أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح » فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى أن أشدهم وصاة فيه قبل ذلك ليرفؤه ، ويلاطفه بأحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول : انصرف يا أبا القاسم والله ما كنت جهولا .

وقد غنى تاريخ المسلمين برجال كانوا هامة الشرف وعنوان المجد .. استعلوا على مغريات المال والجاه والحكم ، ووقفوا مواقف كان الموت فيها قاب قوسين أو ادنى منهم ، فامتدت بهم الحياة وجاءتهم الدنيا طائعة ، ولو أن رجولتهم خانتهم ، فتخلوا عن واجبهم ، واستسلموا لشهوات السلطات وآثروا العافية ، على مشقات الجهاد وتكاليف العزة والحرية ـ لتغير وجه التاريخ وكانوا أمثولة للاجيال من بعدهم .

ونذكر فى هذا الصدد موقف أبى

بكر خليفة رسول الله فى حروب الردة فقد اثارته ردة المرتدين ، واغضبته اشد الغضب وهو الرجل الرقيق الوديع ، ورفض ان يلين ويقبل منهم جزءا من الاسلام ويتسامح فى جزء آخر منه ، وصمم على الحرب ، ولم يقبل الا الاسلام كله ، كلا من غير أن ينقض منه شىء وقد كان هذا الموقف للصديق مفخرته الكبرى التى انفرد بها فى تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك .

والرجولة ليست صفة كمال فى الفرد . وجودها وفقدانها فيه لا يقدح فى شخصيته . لا – انها صفة اساسية فيه ، فالناس اذا فقدوا اخلاق الرجولة صاروا أشباه رجال .. غثاء كغثاء السيل .. ذباب يتهاوى .. طبل أجوف .. جعجعة ولا طحن .. وقديما قال العرب : « ترى الفتيان كالنخل ، وما يدرك ما الدخل » .

والأمة الاسلامية لا تحتاج الى علم ، ولا تفتقر الى ثروة بقدر ما تحتاج الى رجولة ، وهى لم تؤت من قلة عددها ، ولا من ضيق رقعتها ، ولا من جدب أراضيها ، وانما اصابها الضعف والوهن ودب فيها داء الأمم من تهالكها ، على الشهوات ، وتقاتلها على الجاه والمركز وشيوع الملق والنفاق بين القادة والجماهير على حد سواء .

واخلاق الرجولة من اساسيات الزعامة الناجحة والقيادة الظافرة ، فهى تفرض على القائد والزعيم أن يفكر فى أمته قبل أن يفكر فى نفسه ، وأن يرى المنصب وسيلة للخدمة العامة لا للجاه والثراء ، وأن يتخلى عن مركزه عندما يشعر بأن غيره أقدر منه على حمل العبء والنهوض بالمسئولية .

وكل فرد فى الأمة محتاج الى هذه الاخلاق مهما كان مستواه الاجتماعى ووضعه الوظيفى والمهنى فى المجتمع ففى الرجولة متسع للجميع ، وهى ميدان فسيح تتنافس فيه الأمة علماء وساسة ، أدباء وفنانين ، مدرسين وطلبة ، تجارا وصناعا وأقواهم رجولة أقدرهم على خدمة أمته وأنفعهم للناس .

نظرة لغوية :

واذا كانت الألفاظ وعاء للمعانى – كما يقول العلماء – فان مادة هذه الكلمة (ر . ج . ل) تدل بأصل وضعها فى اللغة على طائفة كبيرة من المعانى غير الذكورة المقابلة للأنوثة فى بنى الانسان ..

تقول العرب فى المفاضلة بين الاثنين وتفوق أحدهما على صاحبه (أرجل الرجلين) وللدلالة على القدرة على التصدى للأحداث والتفرد بحل المشكلات تقول « رجل الساعة » وفى مقام المباهاة بالشرف والسناء تقول (هو من رجالات قومه) وعندما وصفت السيدة عائشة رضى الله عنها ببعد النظر وسداد الفكر واصالة الرأى قيل (كانت عائشة رجلة الراى) وعند الاشادة بالاعتزاز بالنفس والاعتداد بها وقدرتها على تحمل الصعاب

ومواجهة الاخطار يقول الشاعر العربي :

وانما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على احد

واذا رجعنا الى المواضع التي وردت فيها هذه المادة في القرآن الكريم وجدنا انها فضلا عن دلالتها على النوع أفادت في كثير من هذه المواضع معاني اخرى تتجه بالنوع الى السمو والامتياز .

استعمل القرآن الكريم (رجالا) وصفا للمصطفين الاخيار الذين اختارهم الله من الناس وابتعثهم لقيادة الأمم وتحرير الشعوب وهداية الانسانية ، وتكرر هذا الاستعمال في عدة آيات من كتاب الله . قال سبحانه : ((**وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم**) ۱۰۹ يوسف ٤٣ النحل ۷ : الأنبياء .

وساق الكتاب العزيز هذه الكلمة وصفا للاطهار والابطال قال تعالى : (**فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**) ۱۰۸ : التوبة . وقال جل شأنه : (**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**) . ۳۷ : النور ، وقال عز من قائل : (**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**) . (۲۸ : الاحزاب) .

والوصف بالرجولة في القرآن الكريم في هذه المواطن وفي المواقف التي يتوارى فيها الجبناء ليس عفوا ، بل هو تعبير مقصود يوحي بمقومات هذه الصفة من جرأة في الحق ومناصرة للقائمين عليه قال تعالى : (**وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين**) ۲۰ : القصص ، وقال عز شأنه : (**وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين**) . ۲۰ يس . وقال سبحانه : (**وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم**) ۲۸ : المؤمنون .

واذا انتقلنا من القرآن الكريم الى السنة النبوية رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلع الى الرجولة التي تناصره ، وتعتز بها دعوته ، ويسألها ربه فيقول : اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو عمر بن هشام ، فيستجيب الله دعاءه في الرجل عمر ، فما هي معالم الرجولة التي استشفها رسول الله في عمر ؟ وما اثرها في نشر الدعوة واعزاز الاسلام .. كان اسلام عمر حدثا كبيرا في تاريخ هذا الدين ، ولو ان آلافا من عامة الناس اسلموا ما عدلوا عمر ولا قاربوه بدت رجولته في اللحظة الاولى من اسلامه فبعد ان كان المسلمون لا يجرؤون على الجهر بدينهم جهروا به ، وكانت الدعوة من وراء حجاب ، فأرادها عمر علانية .. حمل نفسه على كفه دفاعا

عن عقيدته . وصمم على ان يموت او تعلو كلمة الاسلام . فكانت الثانية .. قال ابن عباس : لما أسلم عمر قال : المشركون قد انتصف القوم اليوم منا ، وقال ابن مسعود : ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر ، ولم تكن رجولة عمر في قوة بدنه ولا في فروسيته ، فقد كان في قريش من هو اقوى منه بدنا ، واشد قتالا ، ولكن رجولته كانت في نفسه الكبيرة التي تشيع الرهبة وتبعث على التقدير والاكبار .. هاجر الصحابة خفية اما عمر فقد تقلد سيفه ومضى الى الكعبة فطاف ، وصلى في المقام ، واعلن هجرته على ملأ من قومه ، وقال لهم « من اراد ان تثكله امه وييتم ولده ويرمل زوجته ، فليتبعني وراء هذا الوادي » .. فما تبعه احد منهم » .

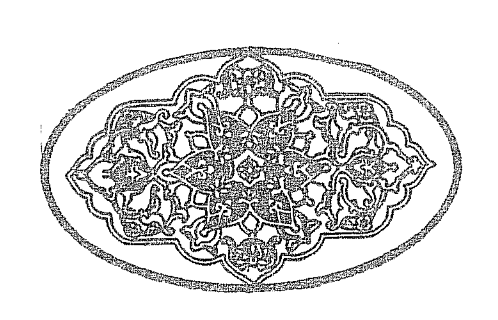
وتمضى الايام وتتوالى الاحداث فتتكشف خصائص الرجولة فيه ويتجلى عدله وقدرته على تحمل المسئولية كاملة ، ويتألق ذهنه وصفاء عقله وسداد رايه ، فينزل القرآن الكريم موافقا له في اكثر من عشرين موقفا ، وقد روى في هذا الباب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون — فان يك في أمتي أحد فانه عمر » .

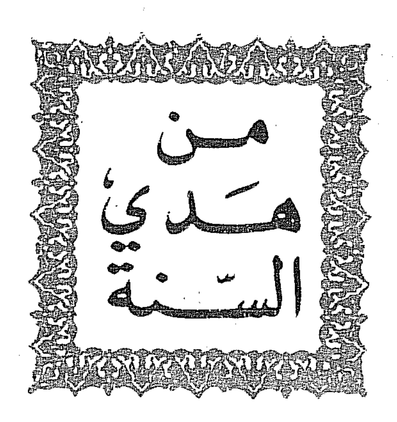
وقديما نظر الشاعر العربي الى الناس نظرة فاحصة . يبحث عن مقاييس الرجولة ، فلم يجدها في الشكل والمظهر ، ووجدها في الحقيقة والمخبر فقال :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي اثوابه اسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير

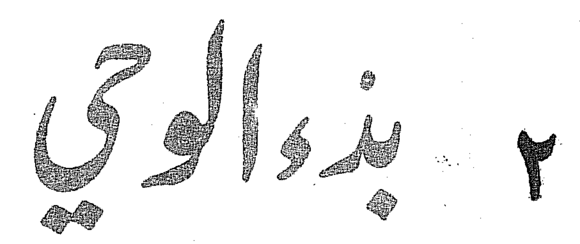
وبعد هذا العرض السريع لمفهوم الرجولة ، ومقوماتها ومظاهرها واثرها في حياة الأمة ، وبعد اللفتة العابرة الى هذه المادة في اللغة . بقيت الاشارة الى أن الرجولة ليست وحيا يوحى ، ولا معجزة يعجز البشر عن تحصيلها ، بل هي ثمرة دانية للعقيدة المكينة ، والتربية الصحيحة ، والقدوة الحسنة ، وهي مهمة يتعاون على تحقيقها البيت ومعاهد التعليم .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلي





الدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت



عن عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها انها قالت :

« أول ما بدىء به رسول الله صلى اللــه عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصــالحة فى النوم ، فكان لا يــرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلــو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهى التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى ، فقــال : اقرأ قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ قالت : ما أنا بقارىء ، فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما انا بقارىء ، فاخذنى فغطنى الثالثة ، ثم ارسلنى فقال : اقرأ باسم ربــك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى، فقالت خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن اخى ماذا ترى ؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ؟ فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى .

ـــ رواية البخاري ـــ

٣ — عهدا اكدته لك ايها القارىء الأريب أن نتجاذب أطراف الحديث عن ام المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها أول سيدة عطر التاريخ باسمها صفحاته مستجيبة لله ورسوله منيبة الى الله تعالى ، متقية له فى صورة لم تعهدها الدنيا ، ولن تجود بتكرارها ، لأنه لا رسالة ولا رسول بعد سيدنا زوجها المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، لقد كان لموقفها الحاسم — وهى اول انسان يلتقى به الرسول بعد أول وحى — اثر كريم دافع الى البناء والعزم ، والمضى قدما دون رهبة ولا تردد ، والاقبال بقوة على الدعوة المنقذة للبشر من هوة الانحرافات القاتلة لكل كريمة ، والرافعة علم الهدى على طريق الرشاد ، !! فمن هى خديجة المعنية بالحديث ؟ وما احوالها التى تقلبت عليها ، قبل لقائها بسيدنا رسول الله ، وما هو الدافع لها الى الارتباط به صلى الله عليه وسلم زوجا يوم كان فقيرا معدما اعزل بعيدا عن ما يتمتع به كثير من شباب مكة من مال وتجارة ، وغير قليل مما يغرى النساء بالرجال ؟

والجواب . .اما من هى ؟ فهى خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى وامها فاطمة بنت زائد بن الأصم ابن رواحة بن حجر ، ويلتقى نسب ابيها وامها فى غالب بن فهر ، وقد تزوجت قبل رسول الله بزوجين أولهما عتيق (١) بن عائذ بن عبد الله بن عمرو ولما توفى عتيق تزوجها ابو هالة ابن زرارة التميمى ، ومات ايضا فى الجاهلية ، وقد ولدت له ذكرا اسمه هند ، وقد شهد بدرا وقيل احدا وكان يحدث عنه الحسن بن على ويقول حدثنى خالى لأنه اخو فاطمة الزهراء لأمها ، وقتل هند يوم وقعة الجمل (٢) وعاشت خديجة بعد ذلك دون زواج رافضة يد كل من يتقدم اليها قال ابن هشام وكانت خديجة حازمة شريفة لبيبة مع ما اراده الله لها من كرامته ، كما كانت اوسط نساء قريش نسبا واعظمهن شرفا واكثرهن مالا ، كل قومها كانوا حريصين على الزواج منها لو يقدر عليه، واما انجذابها الى محمد فنشأ منذ تسامعت بما تلوكه الألسن من الحديث العطر عنه ، وما ذكره لها خادمها ميسرة حين صحبه فى رحلة تجارية الى الشام فعلمت عنه ما لم تعلمه عن احد من اترابه ، وقلبت امره على وجوهه فما رات له شبيها ولا مماثلا فى السلوك والاخلاق والاستقامة ، ولا عرفت فتى يقاربه ، قد قدره عقلاء قومه حق قدره واضفوا عليه كل صفات الكمال ونعوت الفضائل ، فعملت على الارتباط به زوجا رغم فاصل السنين بينهما فهو فى شرخ الشباب وقد بدأت هى فى طور الكهولة ، وليهن كل شىء فى سبيل الهدف الأسمى ، وكانت محاولات انتهت بزواجها كما حكت ذلك مفصلا كتب السيرة ، وكأنى بتلك السيدة الألمعية تنظر ما وراء حجب

الغيب فتستشف المستقبل الذى ينتظر الشاب محمدا ، واراد الله لها ان تخلد ما خلد الزمان ، وان تكون اولى امهات المؤمنين وخيرهن دافعت عن الدعوة بمالها وجاهها وعقلها وذكائها ، وكل ما تملك ، واعطت من البنين والبنات من كانت احداهن (٣) سببا فى امتداد نسل سيد البشر حتى يرث الله الارض ومن عليها ، فانطلقت به خديجة حتى اتت ورقة بن نوفل ، ومن اخبار ورقة هذا انه كره عبادة الأوثان التى بان له من حقيقتها انها حجارة صم لا تضر ولا تنفع ، فخرج مرافقا زيد بن عمرو بن نفيل الى الشام يسألون عن الدين فاما ورقة فقد اعجبه دين النصرانية فتنصر .

ويقول ابن حجر العسقلانى ناقلا عن كتب السيرة (وكان قد لقى من بقى من الرهبان على دين عيسى ولم يتبدل ، ولهذا اخبر بشأن النبى صلى الله عليه وسلم والبشارة به الى غير ذلك مما افسده اهل التبديل) واتجاه خديجة الى ورقة يعطى مزيدا من الدلالة على فطنتها وذكائها ، وان الله اعدها لتكون الى جانب رسوله فى هذا الظرف العصيب ، وكان يجمعها مع ورقة ورسول الله نسب واحد ، ولهذا قالت يا ابن عم اسمع من ابن اخيك ، وكان ورقة مجيدا للعبرانية يكتب بها ، وينقل منها واليها ، وهذا دليل على انه كان عالما بأسرار الديانة المسيحية ، ومطلعا على كل ما ورد فى الانجيل والتوراة من البشارة بنبى هذه الامة ، ولما قص عليه سيدنا رسول الله ما حدث له اجابه (هذا الناموس (٤) الذى نزل الله على موسى) واختص موسى لان نزول جبريل عليه متفق على حصوله بين اهل الكتاب بخلاف عيسى ، فان كثيرا من اليهود ينكرون نبوته ، وتشوف ورقة الى مصاحبة رسول الله فى جهاده ، تمنى أن لو عاد شابا يحمل السلاح نصيرا لدعوة الحق ، وجنديا من جنودها (يا ليتنى فيها جذعا) والجذع بفتح الجيم والذال المعجمتين هو الصغير من البهائم ، وتمنى ورقة الشباب ليكون امكن فى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد عجب رسول الله كثيرا حين اخبره ورقة بأن قومه سوف يكذبونه ويقاتلونه ويخرجونه من دياره فقال (اومخرجى هم) ؟ قال ورقة نعم — لم احد يأت بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ، ويشاء العلى الكبير أن يلقى ورقة ربه مبكرا ، تقول عائشة رضى الله عنها : (ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى)ثم تتابع وتوفيت خديجة عليها رضوان الله قبل أن تفرض الصلاة ، وروى أن عائشة قالت ما غرت على احد ما غرت على خديجة ولقد توفيت قبل أن يتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، ولقد امر رسول الله ان يبشرها ببيت فى الجنة .

هذا وما احوجنا فى ظروفنا الراهنة ان نتذكر ما عاناه سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وما قاساه في سبيل نشر الدعوة ، وما كان من هجرته من البلد الذي هو احب بلاد الله اليه ، وما جابهه به المشركون من عداء سافر له ولأتباعه ، ثم ما شنوا عليه من حروب ما تكافأت فيها العدة ولا العدد ابدا ، ولكن النصر كان حليفه عليه افضل الصلاة لثقته بالله ، واعتماده على قوة رب العالمين تحارب معه الملائكة في بدر ، وعوامل الطبيعة في يوم الأحزاب ، وما وهن عليه الصلاة والسلام ولا ضعف أمام عدو ابدا .

وصاحب الحق المؤمن به الواثق بعون ربه ، تهون أمامه كل الصعاب، وتتلاشى العقبات ، ويلين لعزيمته الحديد وتطوى الآفاق ، وما ضاع حق وراءه مطالب ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ، ولعل في ذكر بدء الوحي بدء الجهاد النبوي الكريم ما يدفع الدماء الحارة الى قلوب المسلمين في آفاق الأرض ، فيفيقوا ، ويتنبهوا للسيوف التي يعملها أعداؤهم في رقابهم في كل مكان ، وليتناسوا ما بينهم من منازعات ، وليعتصموا بحبل الله ليلتقوا بعدوهم في ساحة الجهاد على قلب رجل واحد ، ومن عاذ بالله أعاذه الله ، ومن لاذ بحماه نصره ، ومن توكل عليه كفاه (**وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خاسئين**) .

---

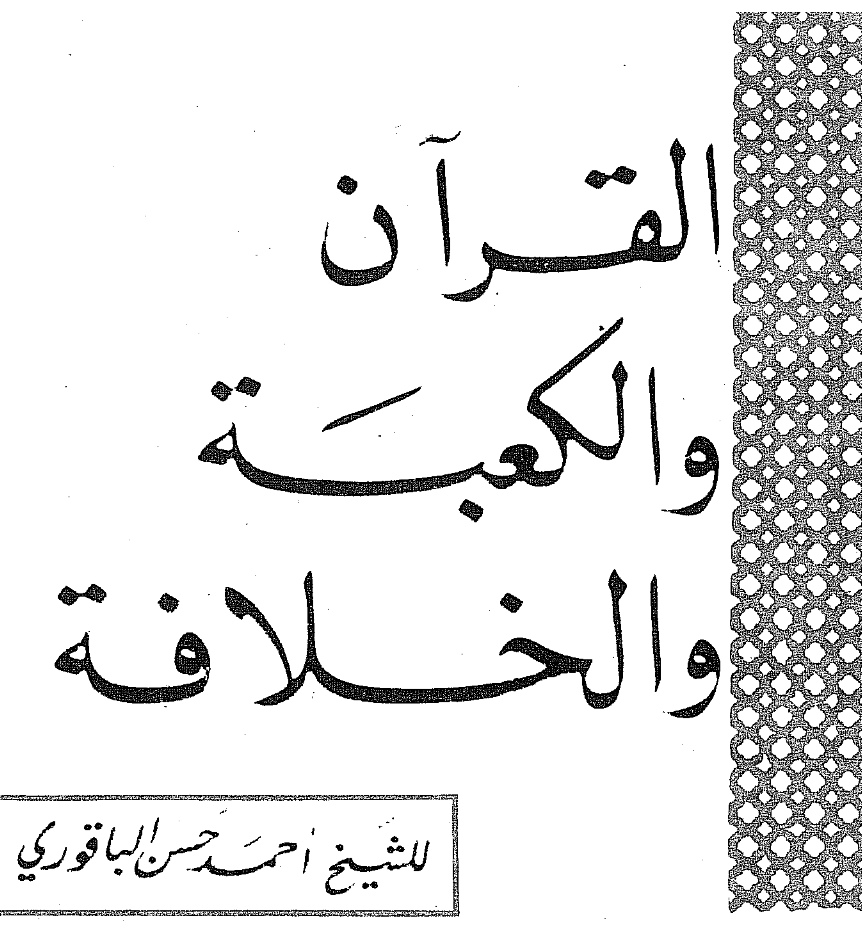
(١) ص ١٢٤ من الروض الانف ، للسهلي ج ١ وقيل أن أبا هالة هو زوجها الاول وعتيق هو زوجها الثاني .

(٢) ورد هذا في شروح المواهب والاستيعاب .

(٣) فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين وزوج علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين ..

(٤) في اللغة الناموس صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر .





القرآن دستور المسلمين فى حياتهم ، والكعبة قبلتهم فى صلاتهم ، والخلافة مظهر وحدتهم ونظام شتاتهم .

وهذه الاصول هي الأسس التى قامت عليها أول دولة للاسلام فى مدينة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقد ظلت هذه الاصول قرونا طوالا موطن اعزاز وموضع تقديس من المسلمين تسوى — على اختلاف النزعات — صفوفهم ، وتقوى فى مواجهة الازمات عزائمهم وتملأ بالامل فى بسط سلطان الحق صدورهم وبالهيبة لهم صدور اعدائهم .

وعلى مقدار ما استمسك المسلمون بهذه الاصول وحرصوا عليها وناطوا آمالهم بها ، راح أعداؤهم يتربصون بهم الدوائر ، ويتلمسون لهم المزالق ويتتبعون فى صفوفهم الثغرات ، حتى اذا سنحت الفرصة اهتبلوها بكل ما تنطوى عليه صدورهم من حقد ، وتتلمظ اليه اطماعهم من سلطان ، فاذا دول الاسلام وشعوبه فى أيديهم فرائس دامية واشلاء ممزعة ، من المحيط الهادىء شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ، ومن البحر الابيض شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ، وكل ما تستهدفه أحقادهم وتتفياه دسائسهم ومكايدهم ، هو هذه الاصول الثلاثة التى لا قيام للامة الاسلامية الا بها وهى كما قلنا — الخلافة والكعبة والقرآن . ونقف فى هذا الحديث وقفة متأملة عند الكعبة والحج .

الكعبـــة :

من الكعوب وهو العلو والارتفاع ، والكعبة البيت المربع وجمعه كعاب .
والكعبة البيت الحرام ، سمي كعبة لارتفاعه وتربعه .
وقد ذكرت الكعبة في كتاب الله في مواضع كثيرة ذكرت باسم الكعبة في قوله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » وقوله تعالى « هديا بالغ الكعبة » وذكرت باسم البيت في قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » وقوله تعالى « فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما » وقوله تعالى « ان أول بيت وضع للناس » وقوله تعـــالى « فليعبدوا رب هذا البيت » .
وذكرت باسم الحرم في قوله تعالى « أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا » وقوله تعالى « اولم نمكن لهم حرما آمنا » .
وذكرت باسم المسجد الحرام في قوله تعالى « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » وقوله تعالى « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام » وقوله تعالى « ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » .
وفي خبر انشائها انها كانت رضما(١) نضدت حجارته بعضها فوق بعض من غير ملاط وكانت تسعة اذرع . وتختلف الروايات في خبر بنائها .
قيل : ان آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور وقيل بناها شيث ابن آدم ثم هدمها الطوفان ، وليس في هذا خبر صـــحيح يعول عليه ، وانما اقتبسوه من مجمل الآية « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » .
فظاهر التعبير ان القواعد كانت موجـــودة ، وان كل عمل ابراهيـــم واسماعيل انما كان رفعها وليس تأسيسها ، وليس في لغة العرب ما يمنع من ان يراد برفع القواعد ابتداء بناء البيت على ضرب من التوسع في التعبير .
وفي تحديد مكان البيت وتاريخه يقول ابن خلدون .

ثم جاء نبي الله ابراهيم وكان من شأنه وشأن زوجته سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف ، وقد أوحى الله الى ابراهيم أن يترك ابنه اسماعيل وأمه هاجر بالفلاة فوضعهما في مكان البيت وسار عنهما فجعل الله لهما من اللطف ما جعل من نبعماء زمزم ومرور الرفقة منجرهمفسكنوا اليهما ونزلوا معهماحوالى زمـــزم . ثم اتخذ اسماعيل بموضع الكعبة بيتا يأوي اليه وادار عليه سياجا من الردم وجعله زربا لغنمه وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مرارا لزيارته من الشام. وقد أمر في آخر زياراته ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب ، فبناه واستعان فيـــه بابنه اسماعيل ودعا الناس الى حجه وبقي اسماعيل ساكنا به . ولما قبضت امه هاجر قام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل أفق من جميع أهل الخليقة وقد نقل أن التتابعة كانت تحج البيت وتعظمه وان تبعا كساها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مفتاحا ، وقيل أيضا ان الفرس كانت تحج البيت وتقرب اليه وان من ذلك القربان غزالي الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتفـــر زمزم .
ولم يزل لجرهم الولاية على البيت من بعد ولد اسماعيل من قبل خؤولهـــم حتى خرجت خزاعة واقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثر ولد اسماعيل وانتشروا وتشعبوا الى كنانة ثم الى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهـــم قريش

على امر البيت واخرجوهم منه ، وملكوا عليهم قصي بن كلاب ، فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وجريد النخيل .
ثم اصاب البيت سيل ويقال حريق فتهدم واعادوا بناءه وجمعوا النفقة من اموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف ، وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا .
وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخل السيول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا من قواعده وتركوا منه ستة أذرع وشبرا وأداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر .
وبقي البيت على هذا البناء الى أن تحصن ابن الزبير بمكة وزحفت اليه جيوش يزيد بن معاوية ورمى البيت سنة أربع وستين فأصابه حريق من النفط الذى رمى به على ابن الزبير . فأعاد بناءه احسن ما كان بعد ان اختلفت عليه الصحابة فى بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة لولا ان قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا فهدمه وكشف عن أساس ابراهيم وجمع الوجوه والاكابر حتى عاينوه ثم شرع فى البناء على أساس ابراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالارض وصاغ لها المفاتيح وصفائح الابواب من الذهب ..
ثم جاء الحجاج لحصارها أيام عبد الملك ورمى على المسجد بالمنجنيقات الى أن تصدعت حيطانه . ولما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده فى البيت فأمره بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم .
هذا ما ذكر ابن خلدون وزيادة في التفصيل يمكن تقسيم بناء الكعبة الى خمسة أطوار ..

الطور الأول :

بناء ابراهيم مع ولده اسماعيل عليهما السلام وهو ما تشير اليه الآيات الشريفة من كتاب الله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

الطور الثاني :

بناء قريش اياها قبل بدء الاسلام بخمس سنين وقد اتفقوا على الا يدخلوا فى بنائها من كسبهم الا طيبا يتجنبون فى ذلك مهر البغى وبيع الربا ومظلمة احد من الناس . ثم أن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة ـــ انا أبدؤكم فى هدمها . فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا ترع اللهم انا لا نريد الا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضى الله عن صنعنا فهدمنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى أساس ابيهم ابراهيم نظروا فاذا قواعد البيت كأسنمة الابل ـــ كما يروى البخاري وكانت القبائل من قريش تجمع الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة حتى اذا انتهوا الى موضع الحجر تنازعوا ايهم يضعه وتداعوا للقتال . وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدى على الموت ، ثم اجتمعوا وتشاوروا ، فاتفقوا على ان يحكموا اول داخل من باب المسجد فدخل محمد بن

عبد الله فقالوا جميعا هذا الأمين وبذلك كانوا يسمونه فتراضوا به وحكموه . فقال صلى الله عليه وسلم هلموا الي ثوبا فأتي به فأخذ الحجر الاسود فوضعه فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه محمد بيده ثم بني عليه وبهذا التصرف الحكيم انتهت الفتنة التي اوشكت ان تشب نارها بين القبائل العربية الحريصة على الظفر بنصيب من شرف اقامة البيت العتيق .

والطور الثالث :

بناء عبد الله بن الزبير اياها حين احترقت في عهده . وفي هذا يروى مسلم في صحيحه انه لما احترق البيت في زمن يزيد بن معاوية حين غزاه أهل الشام تركه ابن الزبير محترقا حتي قدم الناس الموسم يريد بذلك ان يجرئهم ويحزبهم على أهل الشام فلما صدر الحجيج قال ابن الزبير لمن حوله ـــ يا أيها الناس أشيروا علي في الكعبة انقضها ثم أبني بناءها او اصلح ما وهى منها ؟ فقال ابن عباس أرى أن تصلح ما وهي منها وندع بيتا أسلم الناس عليه وأحجارا أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير لو كان احدكم احترق بيته ما رضي حتى يجدد فكيف ببيت ربكم ؟ اني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على أمري فلما مضت الثلاث اجمع رأيه على أن ينقضها فتحاماه الناس ان ينزل بأول من يصعد أمر من السماء حتى صعده رجل فألقي منه حجارة فلما لم يره أناس أصابه شيء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الارض فجعل ابن الزبير اعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه .

وقال ابن الزبير ـــ اني سمعت عائشة تقول قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه لكنت ادخلت فيه من الحجر خمسة أذرع وجعلت لها يعني الكعبة بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه قال ابن الزبير فأنا اليوم أجد ما أنفق ولست أخاف الناس فزاد عليه خمس أذرع من الحجر حتى أبدى أساسا نظر الناس اليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه وكان بناؤها هذا سنة خمس وستين هجرية .

الطور الرابـــع :

بناء عبد الملك بن مروان اياها حين قام بالامر وكان قد ارسل الحجاج لحصار مكة فرمى على المسجد بالمنجنيقات الى أن تصدعت جدران الكعبة .

ولما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده في البيت فأمره بهدمه ورد البناء على قواعد قريش كما هي اليوم فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا مكان الحجر وبناها على أساس قريش وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابهــا اليوم من الباب الشرقي وترك سائرها لم يغير منه شيئا فكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج في الحائط صلة ظاهرة للعيان ولحمة ظاهرة بيــن البناءين اشكال قوي والبناء متميز عن البناء بمقدار اصبع شبه الصدع وقد لحم .

وهنا اشكال قوى يقوله الفقهاء في أمر الطواف فهم يحذرون الطائف أن يجعل على الشاذروان الدائر على اساس الجدر من اسفلها حتى لا يقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدر انما قامت على بعض الاساس مع ترك بعضه وهو

مكان الشاذروان وكذلك قالوا في تقدير الحجر الاسود انه لا بد ان يرجع الطائف من التقبيل حتى يستوى قائما والا وقع بعض طوافه داخل البيت .

واذا كانت الجدران كلها من بناء ابن الزبير — وهو انما بني على اساس ابراهيم فكيف يقع هذا الذى قالوه ؟

ولا نخلص من هذا الاشكال الا بأحد امرين .

احدهما ان يكون الحجاج هدم جميع البيت واعاده على ما يروى ذلك جماعة الا ان العيان فى شواهد البناء بالتحام ما بين البناءين وتميز احد الشقين من اعلاه عن الآخر فى الصناعة يرد ذلك .

وثانيهما أن يكون ابن الزبير لم يرد البيت على اساس ابراهيم من جميع جهاته وانما فعل ذلك فى الحجر فقط ليدخله فهى الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد ابراهيم وهذا بعيد ومع ذلك لا محيص من احد هذين الاشكالين .

ولما انتهى الامر الى الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور اراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور فى ذلك فقال مالك بن انس انشدك الله أمير المؤمنين الا تركت هذا البيت حتى لا تجعله ملعبة للملوك بعدك لا يشاء احد منهم ان يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس قال فانصرف يومئذ أبو جعفر عن عزمه من هدمه واقامته على ما كان عليه فى عهد ابن الزبير .

وكأن مالكا قد استشعر ان عبد الملك هدم ما بنى ابن الزبير عن هوى سياسى وليس عن حافز دينى وان أبا جعفر المنصور يريد هدم الكعبة أيضا عن هوى سياسى وليس عن حافز دينى ولهذا ناشده الله لا يفعل . ثم أن مساحة البيت أعنى المسجد كانت فضاء للطائفين ولم يكن عليه جدار أيام النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر من بعده ثم كثر الناس فاشترى عمر رضى الله عنه دورا هدمها وزادها فى المسجد وأدار عليها جدارا (سورا) دون القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبناه بعمد الرخام ثم زاد فيه المنصور والمهدى من بعده . ووقفت الزيادة واستقرت على ذلك .

الطور الخامس :

تجديد عمارة الكعبة على يد السلطان مراد خان من سلاطين آل عثمان فى سنة ١٠٤٠ هـ ولهذا التجديد قصة خلاصتها ان مطرا عظيما معه برد استمر مدة طويلة حتى نشأ عنه سيل عظيم دخل المسجد الحرام وملأ معظم ارجائه ، واقتحم الكعبة المشرفة من بابها حتى وصل الى نصف جدارها فسقط الجدار الشامى منها وبعض الجدار الشرقى والغربى وسقطت درجة السطح فضج الناس وملأ الذعر قلوبهم فسارع السلطان الى عمارة الكعبة وهى العمارة الاخيرة التى لم يطرأ عليها تغيير الا بما هو اشبه بالصيانة منه بالتعمير .

والذين اكرمهم الله فيسر لهم سبيل اداء فريضة الحج قد رأوا بلا شك صورة اصلاح وتعمير فى الحرم لم يكن من السهل تحقيقها لولا ما وفق الله تعالى له وهدى اليه الاسرة السعودية الكريمة التى هى سادنة للبيت وراعية له ومحافظة عليه ، ولا يسع مخلصا الا أن يتمنى أن يتقبل الله تعالى هذا العمل الطيب وأن يجزى الذين قاموا به خير الجزاء ..

وتشريف الله هذا البيت وعنايته به أكثر من أن يحاط به وكفى من ذلك أن جعله مهبطا للوحى والملائكة ومكانا للعبادة وفرض شعائر الحج ومناسكه واوجب لحرمه من سائر نواحيه من حقوق التعظيم ما لم يوجبه لغيره فمنع كل من خالف دين الاسلام من دخول ذلك الحرم واوجب على داخله أن يتجرد من المخيط الا

ازارا يستره وحمى اللائذ به والواقع فى مسارحه من مواقع الآفات فلا يرام فيه خائف ولا يصاب له وحش ولا يحتطب له شجر .

وحد الحرام الذي يختص بهذه الحرمة من طريق المدينة ثلاثة أميال الى التنعيم ومن طريق العراق سبعة أميال الى الثنية من جبل المنقطع ومن طريق الطائف سبعة أميال الى بطن نمره ومن طريق جده سبعة أميال الى منقطع البشائر .

هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى الكعبة لعلوها ويقال لها ايضا بكة اما لأن الناس يبك بعضهم بعضا اليها يعنى يدفع بعضهم بعضا اليها واما لأن الباء والميم يتبادلان لقرب مخرجيهما كما قالوا من طين لازب أو من طين لازم وقال بعض اهل اللغة بكة بالباء البيت وبالميم البلد والزهرى يقول بالباء المسجد كله وبالميم الحرم ..

وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة فى الجب الذى كان فيها سبعين الف أوقية من الذهب مما كانت الملوك يهدون للبيت فيها الف الف دينار بمائتى قنطار وزنا فقال على يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك؟ فلم يفعل صلى الله عليه وسلم وأبقى الامر على ما كان ثم ذكر لأبى بكر فلم يحركه شىء اليه .

وقد روى البخارى بسنده الى ابى وائل قال :

جلست الى شيبة بن عثمان فقال ـ جلس الى هنا عمر بن الخطاب فقال هممت الا ادع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين ، فقلت له ما انت بفاعل فقال ولم ؟ قلت ـ لم يفعله صاحباك قبلك فقال هما المرءان يقتدى بهما ، وقد اقام ذلك المال فى جب الكعبة الى ان كانت فتنة الافطس وهو الحسن بن الحسين بن على بن على زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة فعمد الى الكعبة فأخذ ما فى خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا ينتفع به أحد نحن أحق به نستعين به على حربنا فأخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ وفى شأن البيت يقول ابن اسحاق ان قصى بن كلاب هو اول بنى كعب ابن لؤى أصاب ملكا اطاع له به قومه فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفاده والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطعها رباعا بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى اصبحوا عليها وقد هابت قريش قطع شجر الحرم فى منازلهم فقطعها قصى بيده واعوانه فسمته قريش مجمعا لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره فما يتزوج رجل ولا امرأة من قريش ولا يتشاورون فى أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء بحرب قوم من غيرهم الا فى داره يعقده لهم بعض ولده وما تدرع جاريه اذا بلغت أن تدرع من قريش الا فى داره فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها الى البيت وفيها كانت قريش تقضى امورها وفى قصى هذا يقول الشاعر :

قصى لعمرى كان يدعى مجمعا — به جمع الله القبائل من فهر
هم ملأوا البطحاء مجدا وسؤددا — وهم طردوا عنا غواة بنى بكر

هذا ويقول الواقدى رحمه الله أن قريشا حين ارادوا البنيان كانوا يحذرون قطع الشجر من الحرم مخافة أن تنزل بهم عقوبة الله فى ذلك فكان أحدهم يطوف بالبنيان حول الشجر حتى تكون فى منزلة وأول من ترخص فى قطع شجر الحرم عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقيقعان لكنه جعل دية كل شجرة بقرة وكذلك روى عن عمر رضى الله عنه انه قطع دوحة كانت فى دار أسد بن عبد

العزى وكانت اطرافها تنال ثياب الطائفين بالكعبة وذلك قبل ان يوسع المسجد فقطع الشجرة عمر ووداها بقرة .

وائمة المذاهب يختلفون في ذلك فمذهب مالك انه لا دية في شجر الحرم وأما الشافعي فجعل في الدوحة بقرة وفي مادونها شاة وفصل ابو حنيفة فقال أن كانت الشجرة التي في الحرم مما يغرسها الناس ويستنبتونها فلا فدية على من قطع شيئا منها وان كان من غيرها ففيه القيمة بالغة ما بلغت . وذكر أبو عبيد أن قصيا اتخذ دار الندوة يجلس القوم فيها للتشاور . والندوة مأخوذة من لفظ الندى والنادى والمندى يجتمع القوم الذين يندون حوله اى يذهبون قريبا منه يرجعون اليه وهذه الدار صارت بعد بني عبد الدار الى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى ابن أخى خديجة أم المؤمنين فباعها في الاسلام بمائة الف درهم وذلك في زمن معاوية فلامه معاوية في ذلك وقال أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم بمائة ألف يا حكيم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة الف درهم واشهدكم ان ثمنها في سبيل الله فأينا المغبون ؟

وقد اشترى امير المؤمنين عمر رضي الله عنه دار صفوان بن أمية وجعلها سجنا بمكة وهو أول سجن اتخذ في الاسلام ومن جمال النظر ان ينكر طاووس هذا التصرف من عمر ذاهبا الى أن دار العذاب لا ينبغي أن تكون في بيت رحمة .

وليس شيء من بلاد الله يشبه مكة فلا يسع مسلما أن يذهب الى ما ذهب اليه طاووس فيمنع اتخاذ السجن في اى بلد آخر صيانة للامن وتوفيرا للطمأنينة وكذلك لا يسع مسلما أن يمنع رباع اى بلد من البيع وبيوتها من الكراء كما هي الحال في مكة بقضاء رسول الله في قوله الشريف — مكة مناخ لاتباع رباعها ولا تؤاجر بيوتها » .

وقد كره صلوات الله عليه ان يستأثر لنفسه ببيت أو بناء يظله من الشمس في منى حين اقترحت عليه عائشة ذلك فقال صلى الله عليه وسلم « لا يا عائشة انما هو مناخ من سبق » تلك احدى خصائص الحرم .

وخصيصة ثانية له هي أن المسلم يؤاخذ فيه بارادة المعصية ولو لم يأتها فلو ان مكلفا أراد وهو بعد أبين أن يقتل رجلا بالحرم لعذبه الله تعالى على هذه الارادة وان لم ينفذ ما انتواه بدليل قول الله تعالى « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » فقد علق الله في الآية اذاقة العذاب على ارادة الالحاد بالظلم .

وليس المراد بالالحاد ما يبتدر الذهن من الميل عن الايمان الى الكفر فان الاسلاف كانوا يرون الالحاد في الحرم ان يقول الرجل لا والله بلى والله كما يقرر ذلك عبد الله بن عمر رحمه الله ولذلك كان يتخذ فسطاطين احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد الصلاة دخل فسطاط الحرم واذا أراد بعض شأنه قصد فسطاط الحل لأن الله عظم الذنب فيه وكذلك كان لعبد الله ابن عمرو فسطاطان في الحل والحرم فاذا اراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل واذا أراد أن يصلي صلى في فسطاط الحرم فقيل له في ذلك فقال ان كنا لنتحدث أن من الالحاد في الحرم أن نقول كلا والله وبلى والله .

والمعاصي تتضاعف في مكة كما تتضاعف الحسنات فتكون المعصية معصيتين احداهما بالمخالفة لأمر الله والثانية باسقاط حرمة البلد الحرام .

ذلك ما يتصل بتاريخ الكعبة وما احاط بها من محن واحداث ، ولا يخفى

ان الكعبة هى قلب الحج ، فحين ذكر الله الحج فى كتابه كانت هى مدار النص الكريم فذلك حيث قال سبحانه « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » يعنى جل ثناؤه أن من ترك الحج مع الاستطاعة فان الله غنى عنه لأن الله غنى عن العالمين . ومما لا يجوز التجاوز عنه دون تنبيه اليه أن القرآن استعمل كلمة « ومن كفر » بدلا من كلمة « ومن ترك الحج » ايذانا بشدة حرص الاسلام على أداء هذه الشعيرة .

ولا يخفى أيضا أن دعوة الاسلام المسلمين الى أداء فريضة الحج دعوة مشددة مؤكدة لا تقف بهم عند قضاء حق الدين عليهم ، ولكنهم تضم الى ذلك منافع من صميم الحياة لا تستغنى عنها أمة تحمل رسالة الحق والخير . والى هذا المعنى يشير قول الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » يعنى جل ثناؤه أنه جعل الكعبة نظاما وانتعاشا لهم فى أمر دينهم ودنياهم ، ونهوضا الى أغراضهم ومقاصدهم فى معاشهم ومعادهم والى هذا أيضا تشير الآية الكريمة « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم » .

وربما ذهب أهل العلم الى أن المراد من المنافع فى الآية انما هو التجارة وليس من الميسور التسليم بهذا فان المنافع أوسع دائرة وأرحب أفقا ، فلا تقتصر على التجارة وحدها فانما هى منفعة من المنافع ولعل أبرز المنافع وأشملها للخير ، التجمع والتعارف مضيا مع قول الله تعالى « انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، ويؤيد هذا المعنى ويقويه شدة حرص الشارع على شهود المسلم للجمعة والجماعات فى الصلاة ، حتى لقد قال عليه الصلاة والسلام فى شأن قوم تخلفوا عن صلاة الجماعة « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم آتى قوما تخلفوا عن صلاة الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم » فليس وراء هذا دليل على فضل الجماعة وعلى شدة حرص الشارع عليها .

واجتماع المسلمين فى المسجد لاداء الصلاة انما هو اجتماع نفر قليل فى قرية أو بلد بيد أن اجتماع الحجيج فى الحج انما يكون من أبعد البلاد وأعمق الفجاج فالفائدة به أعم والثمرة أنفع والحرص عليه أشد ، وخليق بمن يتأمل حكمة الحج فى هذا الضوء ألا يقصرها على منافع التجارة والرزق ، وانما يمضى بها قدما الى ما أراده الله تعالى للمسلمين من التجمع والتعارف والتفاهم والتشاور الذى هو خير وبركة لكافة المسلمين .

والذين يتبعون فى عصرنا هذا ما صار عرفا متبعا بين الشعوب من المعاهدات الثقافية التى يتعارفون فيها ويتواصلون ، والمعاهدات الاقتصادية التى يتبادلون فيها المنافع والكسوب يرون الاسلام قد سبقهم الى ذلك بأربعة عشر قرنا من الزمان .

فالحج بهذا النظر ركن عظيم تستند اليه الجامعة الاسلامية التى تصون مصالح أمة القرآن .



الاسلام دين توحيد خالص ، دين لا يؤمن بالوساطة بين العبد وربه ، ولا بمشهود محسوس يركز عليه الانسان تفكيره ، ويصرف اليه همته ، ليتخيل به الاله الذى لا تدركه الابصار ، ويرتبط به فى خياله ويتمسك بأذياله ، فلا وسائط ولا مظاهر ، ولا صور ولا أصنام ، ولا هياكل ولا طبقة كهان ولا سدنة ، « وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » « فاعبد الله مخلصا له الدين . ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » .

اذا فالاسلام دين يطلب تجردا فى الخيال ، وسموا فى الفكر ، ونقاء فى الارادة والنية ، واخلاصا فى العمل والتطبيق وانقطاعا عن الغير ، لا يتصور فوقه أكثر منه ، ومستوى فى الفكر والعقيدة ، لم تبلغ الانسانية ولا الاديان والفلسفات ، والنظم الدينية أو العقلية الى مثله أو قريب منه ، وقد وصف الله نفسه بما لا مزيد عليه فى الدقة والسمو ، فقال : « ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير » .

ولكن الفطرة البشرية ، هى الفطرة البشرية ، فالانسان ما زال — ولا يزال — باحثا عن شىء يراه بعينه ، فيوجه اليه أشواقه ، ويقضى به حنينه ويشبع به رغبته الملحة ، فى التعظيم والدنو .

وقد اختار الله أمورا ظاهرة محسوسة ، اختصت به ونسبت اليه وتجلت عليها رحمته ، وحفتها عنايته بحيث اذا رؤيت ذكر الله ، وارتبط بها وقائع وحوادث ، وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله وآلائه ، ودينه وتوحيده ، وحسن بلاء أنبيائه ، وسماها (شعائر الله) التى جعل تعظيمها تعظيمه ، والتفريط فى جنبها تفريطا فى جنبه ، وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن فى نفوسهم ، ورغبتهم الفطرية فى الدنو والمشاهدة ، بل حث على

الاسلام دين توحيد وتجريد لا وساطة فيه ولا تمثيل

لكاتب كبير

ذلك ، ودعا اليه فقال : « ذلك ، ومن يعظم شعائر الله ، فانها من تقوى القلوب » ، وقال : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

ثم ان الانسان ، ليس عقلا مجردا ، ولا كائنا جامدا يخضع لقانون ، أو ارادة قاسرة ، ولا جهازا حديديا يتحرك ويسير تحت قانون معلوم ، أو على خط مرسوم ، أن الانسان عقل وقلب ، وايمان وعاطفة وطاعة وخضوع وهيام وولع ، وحب وحنان ، وفى سر عظمته وشرفه وكرامته ، وفى ذلك سر قوته وعبقريته وابداعه ، وسر تفانيه وتضحيته ، وبذلك استطاع أن يتغلب على كل معضلة ومشكلة ، وأن يصنع العجائب والخوارق ، واستحق أن يحمل أمانة الله التى اعتذرت عنها السموات والارض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، ووصل الى ما لم يصل اليه ملك مقرب ، ولا حيوان ولا نبات ولا جماد .

ان صلة هذا الانسان بربه ، ليست صلة قانونية ، عقلية فحسب ، يقوم بواجباته ويدفع ضرائبه ، ويخضع أمامه ، ويطيع أوامره وأحكامه ، انما هى صلة حب وعاطفة كذلك ، صلة لا بد أن يرافقها ويقترن بها ، ويتحكم فيها حنان وشوق ، وهيام ولوعة ، وتفان وتهالك ، والدين لا يمنع من ذلك ، بل يدعو اليه ، ويغذيه ويقويه ، فتارة يقول القرآن : « والذين آمنوا أشد حبا لله » وتارة يقول : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » ويذكر أنبياءه ورسله وينوه بحبهم وحنانهم ، ويحدث عن أشواقهم وتفانيهم فى هذا الحب ، فيقول عن يحيى (عليه السلام) : « وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا » ويحكى قصة خليله ابراهيم كيف آثر حب الله وطاعته على حب

ولده ، وفلذة كبده ، وكيف وضع السكين على حلقومه ، وحاول ذبحه حتى شهد ربه بصدقه وحسن بلائه ، وقال : « يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين » ولذلك قال فى وصف ابراهيم : « ان ابراهيم لحليم أواه منيب » .

وذلك سر اطالة القرآن فى ذكر صفات الله وأفعاله ، وآلائه ونعمائه واشادته بها ، والعودة اليها مرة بعد مرة ، فان الصفات ، هى التى تثير الحب وتبعث الحنان ، وتوجد الاشواق ، وذلك سر تفصيل القرآن الذى يعبر عنه بعض علماء الكلام وأئمة الاسلام ، « بالنفى المجمل والاثبات المفصل فان الاثبات هو الذى ينبع منه الحب ، ويفيض منه الحنان ، وتنبعث به الأشواق ، وتتغذى به العاطفة ، فاذا كان النفى رائد العقل ، كان الاثبات رائد القلب ، ولولا هذه الصفات العليا وأسماء الله الحسنى ، التى نطق بها القرآن ، ووردت بها السنة ، وهام بها الهائمون ، وتغنى بها العارفون ، وسبح بها المسبحون ، وسبح فى بحارها ، ونزل فى أعماقها الغواصون ، لكان هذا الدين جامدا ، لا يملك على أتباعه قلبا ، ولا يثير فيهم عاطفة ، ولا يبعث فيهم حماسة ، ولا يحدث فى القلب رقة ، ولا فى الصلاة خشوعا ، ولا فى العين دموعا ، ولا فى الدعاء ابتهالا ، ولا فى الجهاد تفانيا ، وكانت علاقة العبد بربه علاقة محدودة ميتة لا حياة فيها ولا روح ، ولا مرونة ولا سعة ، وكانت الحياة كلها حياة رتيبة ، لا عاطفة فيها ولا أشواق ، ولا حنان فيها ولا هيام ، واذا ، أى فرق بين الحياة والموت ، وبين الانسان والجماد ؟!

لقد كان المسلم فى حاجة الى غذاء للقلب ، والى زاد للعاطفة ، والى أن يقضى شوقه ، ويروى غلته ، مرة بعد مرة ، وعلى فترة بعد فترة ، وكان فى حاجة الى أن تطفح كأسه ، فما قيمة كأس تمتلىء ولا تطفح ؟. وكان فى حاجة الى أن تفيض هذا الكأس ، فما قيمة كأس تطفح ولا تفيض ؟.

لقد كان للمسلم أن يقضى هذا الشوق ، وأن يبرز هذا الحنان ، وأن تفيض كأسه فى الصلوات التى يصليها كل يوم ، فيسلى بها قلبه ويطفىء بها غلته ، ويهدىء بها ثائرته ، ويخفف بها حرارة شوقه ، ووهج نفسه ، ولكنها قطرات محدودة تتكون خشوعا ، أو تسقط دموعا ، انها قطرات قد لا تفى بما يجيش فى الصدر من حنان وولوع ، وهى قطرات قليلة فى بعض الأحيان لا تسمن ولا تغنى من جوع .

لقد كان المسلم فى حاجة — بعد هذه الصلوات ، التى يصليها كل يوم ، وبعد شهر رمضان ، الذى يصومه كل عام ، وبعد الزكاة ، التى يقوم بها اذا تم النصاب وحال الحول ، الى أن يشهد موسما هو ربيع الحب والحنان ، وملتقى المحبين والمخلصين ، ومشهد العشاق والهائمين .

وكان المسلم فى حاجة الى أن يثور على عقله ، الرزين الوقور ، المقلد المطبق ، وما لذة حياة لا ثورة فيها ولا تمرد ؟ وكان فى حاجة الى أن يتخطى الدائرة المرسومة من عادات ومألوفات ، وقوانين وضعية ، وحضارة مصطنعة ومجتمع قاس ، ويفك قيوده وأغلاله ، وينتزع الزمام من يد عقله ، الذى استبد به زمانا طويلا ، ويعطيه لقلبه وعاطفته ، فيتحكمان فيه ما شاءا ، ويهيم على وجهه كما هام الهائمون ، ويذهب فى الحب كل مذهب كما فعل العشاق المتيمون ، فلا حرية لمن ملكه المجتمع ، وسيطرت عليه الحضارة ، وتسلطت عليه آلهة التقاليد ، ولا توحيد لمن أسرته العادات ،

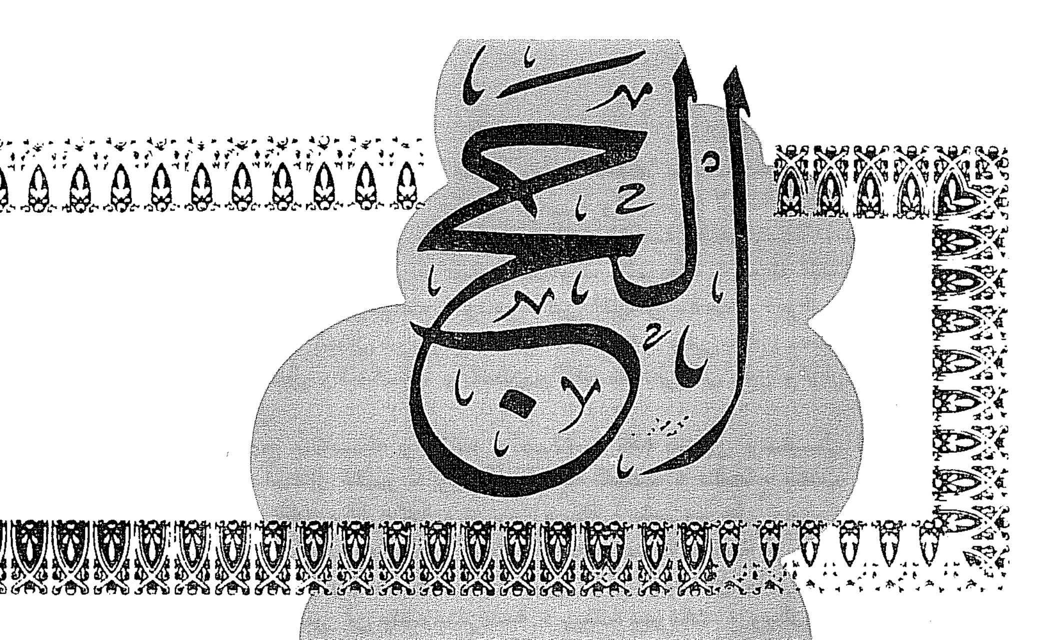
والمألوفات والشهوات ، ولا يعتبر مطيعا منقادا مسلما مستسلما ، من اعتمد دائما على عقله ، لا ينشط لعمل ، ولا يسرع لامتثال أمر ، حتى يزنه فى ميزان عقله المخلوق ، ويعرف فوائده المادية المحسوسة . والحج بوضعه الدقيق الغامض ، المنافى للمألوف المعروف ، لعباد العقل والمادة ، وأسارى النظم والترتيبات ، ودعوة الى الايمان بالغيب ، واتباع الأمر المجرد ، وعزل العقل عن وظيفته لمدة محدودة ، وفى مكان محدود ، وصرفه عن طلب الدليل والحكمة ، والمنطق والفلسفة فى كل حين وأوان ، وفى كل زمان ومكان .

والحج بمناسكه وأركانه وأعماله ، كله تمرين وتمثيل للاطاعة المطلقة ، وامتثال للأمر ، وتلبية واجابة للطلب ، فالحاج يتقلب بين مكة ومنى ، وعرفات والمزدلفة ، ثم منى ومكة : يقيم ويرحل ، ويمكث وينتقل ، ويخيم ويقلع ، انما هو طوع اشارة ورهين أمر ، ليست له ارادة ولا حكم ، وليس له اختيار ولا حرية ، ينزل بمنى ، فلا يلبث أن يؤمر بالانتقال الى عرفات ، من غير أن يقف بالمزدلفة ، ويقف بعرفات ، ويظل سحابة النهار مشتغلا بالدعاء والعبادة وتحدثه نفسه بالمكث بعد الغروب ، ليستجم ويستريح ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال الى المزدلفة ، ويقضى حياته محافظا على الصلوات فى وقتها ، ويؤمر بترك صلاة المغرب فى عرفة لأنه عبد لربه ، ليس عبدا لصلاته وعاداته ، فلا يصليها الا بالمزدلفة جمعا مع العشاء ، وتطيب له الاقامة فى المزدلفة ، فيريد أن يطيلها ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال الى منى .

وهكذا كانت حياة ابراهيم وحياة الأنبياء ، وحياة العشاق المؤمنين والمحبين والمتيمين ، نزول وارتحال ومكث وانتقال ، وعقد وحل ، ونقض وابرام ، ووصل وهجر ، ولا خضوع لعادة ، ولا اجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى .

وكان ينبغى أن يكون ذلك فى مكان ، قد قام فيه أكبر المحبين وامام المخلصين ، وأشد الناس حبا لله ، وأحبهم الى الله فى عصره ، وأسرته الصغيرة ، الطيبة المباركة ، بأكبر دور فى الحب والولاء ، والاخلاص والوفاء ، والايثار والفداء ، وقاموا بأروع رواية وأجملها ، فى تاريخ الحب السامى والولاء الطاهر ، والاخلاص المعجز ، وجاء من بعدهم الانبياء والمرسلون ، والموحدون المخلصون ، والمحبون فى كل عصر ، فنسكوا مناسكهم وشهدوا مشاهدهم ، واحتذوا حذوهم ، وترسموا خطاهم ، وحكوا هذه الرواية وأعادوها ، فطافوا حول البيت ، وسعوا بين الصفا والمروة ، ووقفوا بعرفات ، وباتوا فى المزدلفة ورموا الجمرات ونسكوا فى منى .

وكان فى المكان والزمان ، وفصول الرواية التى يعيدونها ، والأعمال التى يقلدونها ، ونسائم الحب التى ينشقونها ، والجو الفائض بالايمان والحنان الذى يعيشون فيه ، وطبقات الأمة ، التى يتصلون بها ويعاشرونها وفى هذا الالتقاء الدينى الروحى ، الذى لا نظير له على وجه الارض ، وفى هذا الضجيج من الدعاء ، والذكر والتلبية والاستغفار ، ما يعيد الحياة الى القلوب الميتة ، ويحرك الهمم الفاترة ، وينبه النفوس الخامدة ، ويشعل شرارة الحب والطموح التى انطفأت ، أو كادت تنطفىء ، ويجلب رحمة الله .



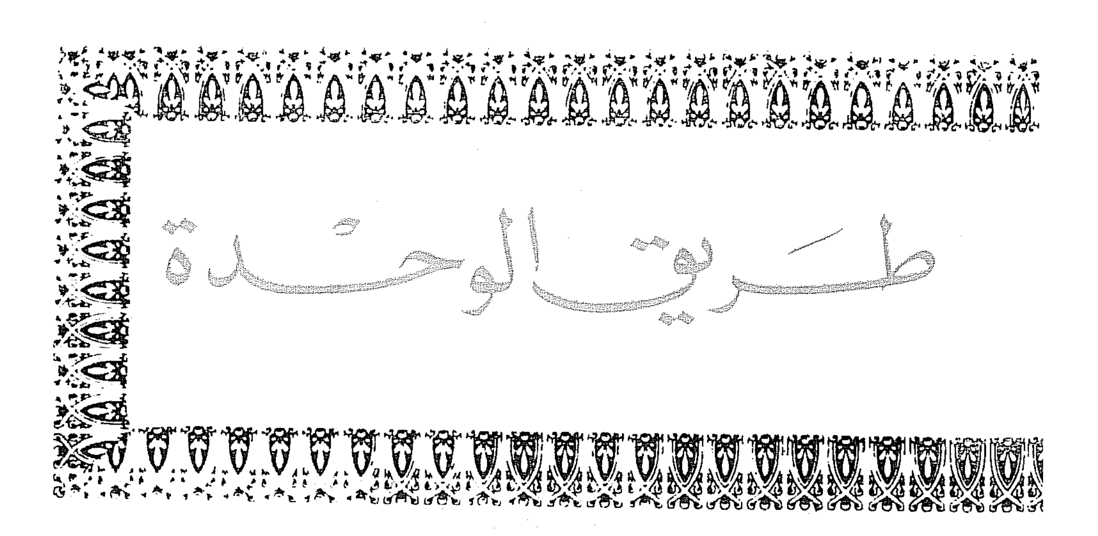
إن ايقاظ الجماعة من رقدتها وسباتها ، وهز أركان البنى الاجتماعية الواهية أو تغييرها ، ودحر فساد الحكم وعجزه عن طريق « الثورات » العالمية قد يرافقه أحيانا هدم وتخريب ، ومن أجل إنجاح الثورة يفرض رجـالها سلطانهم ، ويعملون على تحقيق أهـدافهم بالعنف والبطش والجاسوسية الرهيبة ، مما يؤدى الى تمزيق أوصال المجتمع ، وخلق نوع من الكراهية الجـديدة والحقد الدفين بين فئات الناس .

أما طريق الاسـلام اذا وجد حماته الى تحقيق أهـداف الثورة الاصلاحية الدائمة ، فهو فى تمثل معانيه الصـافية ، ووعى مقاصده الاصيلة ، والتزام تطبيق تعاليمه وواجباته الرشيدة .

وفهم مقاصد الحج على نحو سليم يوحى لنا بكثير من العبـر الخلاقة والقيم المبدعة فى تجديد بنية الجماعة وتخريج الاجيال المتطلعة الى مستقبل مشرق ونمط فى الحياة أصلح وأفضل .

ومن أهم قوى الدفع نحو حياة جديدة للجماعة هو التخلص مـن أوزار الماضى ، ونبذ كل عوامل التخلف والتجزئـة أو التمزق والانقسام ، وطريق ذلك فى الاسلام هو الحج .

فالحج ذلك المؤتمر الاسلامى الاكبر الذى يتجدد فى كل عام فـى أقدس بقاع الله فى الارض طريق واضحة للوحدة والجامعة الاسلامية اذا شاء الحكام وساعدوا عليه واستغلوا امكانياته وطاقاتـه الخيرة الكبرى ، اذ هو العبادة الجماعية الحسية المتميزة فى الاسلام بهـذا



طريق الوحدة

للدكتور وهبة الزحيلي

الوصف ، فمناسكه وشعائره كلها مفروضة الاداء بصفة جماعية فى حد ذاتها ، أو لان وقتها محدود فى أيام معلومة معينة ، وهى قائمة أساسا على التجمع والتكتل والتعارف والتآلف ، وكل جماعة تؤم البيت الحرام وتفيد من منجزات الحج تكون خير رسل لاقوامها تبلغهم ما يجب عليهم ، وتبعثهم على انجاز ما يلزم ، ومع الزمن يتصل حبل الجماعة وتتضافر جهودها فى بناء الوحدة والاجيال القادمة بتكرار مناسبات الحج كل عام ، لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام ، فلم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » .

وواضح أننا لا نجد لغير الحج من فرائض وعبادات الاسلام الاخرى هذه الصفة الجماعية الذاتية ، لان تلك العبادات يمكن القيام بها بصفة منفردة ، وهى اما ذات نفع شخصى محض ، أو ذات هدف اجتماعى محصور فى نطاق معين . فأداء الصلاة جماعة ودفع الزكاة مثلا يقتصر أثرها على بقعة ضيقة بدليل جعل الجماعة فى الصلاة فرضا كفائيا فى كل بلدة ، وأن الزكاة لا يجوز نقلها الى بلد آخر ، وهذا لا عيب فيه ، بل هو

فضيلة لما فيه من تمتين بناء الجبهة الداخلية ، وتكافل كل جماعة قليلة فيما بينها ، باعتبار أنها أعرف بمناطق عيشها ، وأهل موطنها ، مما يدعو الى اتحاد الجماعات الصغرى ، واجتماع كلمتها ، ووقوفها صفا واحدا إزاء مصالحها المشتركة ، وتوثيق عرى التآلف وتبادل المحبة والاخاء بين أفرادها ، كما يحصل ذلك أيضا فى أداء صلاة الجمعة والعيدين .

وقد أبان العلامة الدهلوى فى « حجة الله البالغة » حقيقة الحج وأثره التجديدى فى المجتمع فقال : « اعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين فى زمان يذكر حال المنعم عليهم من الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، ومكان فيه آيات بينات قد قصده جماعات من أئمة الدين معظمين لشعائر الله متضرعين راغبين وراجين من الله الخير وتكفير الخطايا ، فان الهمم اذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة ... » الحديث ثم قال : « وكما أن الدولة تحتاج الى عرضة — أى اختيار — بعد كل مدة ليتميز الناصح من الغاش ، والمنقاد من المتمرد ، وليرتفع الصيت وتعلو الكلمة ، ويتعارف أهلها فيما بينهم ، كذلك الملة تحتاج الى حج ليتميز الموفق من المنافق ، وليظهر دخول الناس فى دين الله أفواجا ، وليرى بعضهم بعضا ، فيستفيد كل واحد ما ليس عنده ، إذ الرغائب انما تكتسب بالمصاحبة والترائى .. »

والمكاسب الجماعية التى تتحقق بالحج متعددة متنوعة منها سياسى ومنها اقتصادى ، فبالتجمع المنظم وبتمثل وادراك غايات الحج يلتقى المسلمون على منهج واحد ، وخطة عمل موحدة ، ويقيمون دولة واحدة . وبالتعارف والتآلف تتعرف الشعوب حاجات بعضها وموارد وانتاج بلدانها ، بالاضافة الى ما تقوم به السفارات والقنصليات الحديثة والوفود الاقتصادية من دور وخدمة رسمية فى هذا الشأن . وبالاجتماع فى صعيد الحج يستنصر الضعيف بالقوى ، ويستعين صاحب الخطر الداهم بالبعيد عنه لدفع الاخطار وصد العدوان والضغط على الحكام المحليين اذا تراخوا أو قصروا فى القيام بواجبهم العام نحو اخوانهم المهدد وجودهم أو مصالحهم . وبذلك تتضح صور المواقف جلية وتنجلى الرؤى التى قد تشوهها أو تزيفها أو تسكت عنها وسائل الاعلام الحديثة .

وبهذا يتوصل المسلمون الى الظفر بمقاصد الحج الحقيقية ، اذ أن العبادة فى الاسلام ليست مقصودة لذاتها ، وانما لما يترتب عليها من ثمار ومنافع اجتماعية باعتبارها وسيلة اصلاحية تربوية ناجعة لمن يدرك معناها ويحظى بمغزاها الاصيل . ومن هنا لا نريد أن يتقوقع الاسلام فى زاوية ومفهوم العبادة المحضة ، وترك جوانبها النافعة بين أبناء المجتمع ، فالهدف الاول بجعل الاسلام رهين المسجد أو المنزل أو القلب هو غرض العدو ، والهدف الثانى بمد أثر العبادة الى المجتمع هو لب الاسلام وسمته وقصده الصحيح . ومن المؤسف أن الاعداء

استطاعوا غزو المجتمع الاسلامي وروجوا لهدفهم الاول ، وشلوا أو عطلوا فاعلية الحج وغيره في اصلاح الاخلاق والمعاملات وتأييد التجمع الاسلامي .

وتتجلى أهداف الحج الجماعية من وجوه مختلفة في التشريع الاسلامي ، وأخصها بناء الوحدة الاسلامية :

ففي أصل ايجاب الحج خاطب الحق تبارك وتعالى المكلفين بعبارة « الناس » التي هي أعم من عبارة « يأيها الذين آمنوا » التي يغلب استعمالها في المطالبة بأداء العبادات ، فقال سبحانه « ولله على الناس حج البيت » « وأذن في الناس بالحج » وكان نداء ابراهيم عليه السلام تنفيذا لهذا الامر الالهي « يأيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا ، فحجوه ، فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الارض ، وأسمع من في الارحام والاصلاب ، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج الى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك » مما يدل على معاني الشمول والاحاطة في أصل مفهوم الحج . وما أجمل تعبير النبي صلى الله عليه وسلم بوصف الحجاج أنهم وفد الله حيث قال : « الحجاج والعمّار وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم » والوفد في اللغة : الجماعة المختارة لشأن هام ، وليس هناك أهم شأنا من العمل على توحيد الصف الاسلامي . وفي سبيل ذلك وردت أحاديث نبوية كثيرة ترغب في الحج وتبين فضله ، وأنه يلي مرتبة الايمان بالله ، والجهاد في سبيل الله : « من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » « أي الاعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله وحده ، ثم الجهاد ، ثم حجة برة تفضل سائر الاعمال كما بين مطلع الشمس الى مغربها » .

وقد ذكرت أحكام الحج في سورة البقرة بعد أحكام القتال في سبيل الله باعتبار أن الجهاد طريق تكوين الجماعة وبناء كيانها وحفظ وجودها . وأما الحج فهو سبيل توحيد الامة ولمّ أشتاتها وجمع كلمتها واتجاهها نحو غاية واحدة . وبعدئذ أعقب الله تعالى ذكر النفاق وعلامات المنافقين تحذيرا من خطر التجزؤ والتفرقة والدسائس ، إذ ليس هناك كالنفاق أعظم تهديما منه لصرح بنيان الجماعة وتقويض شوكتها ، وبعثرة جهودها وعرقلة سيرها نحو سمو الهدف المنشود ، والحج طريق نبذ المنافقين والمثبطين المعوقين لاقامة الوحدة بين المسلمين .

واذا خالج الشك بعض الناس بقيمة الوحدة ، وانتابتهم مخاوف الحفاظ على مصالحهم الشخصية ، فان الاسلام يطمئن تلك القلوب المترددة بأن مبدأ الاسلام وشعاره هو المساواة بين جميع الناس ، والحج يترجم ذلك المبدأ الى واقع عملي ، حيث يتمثل الحاج أنه بزيارته لبيت الله تعالى مقبل على الله سبحانه قاصد له ، فيتجرد عن عاداته وينسلخ من مفاخره ومميزاته على غيره ، ويخلع كل مظاهر الدنيا ومفاتنها ،

يتساوى الغنى مع الفقير ، ويتماثل الدنى مع الامير ، الكل عبيد لله ، وإخوة متحابون فى سبيل الله ، وكان ذلك المعنى هو أبرز ما فى خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فى الثانى من أيام التشريق : « يأيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لاحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر إلا بالتقوى » .

وبما أن تنظيم الجماعة سياسيا واقتصاديا ودفاعيا وبناء الوحدة الاسلامية لا بد له من جو يسوده الاستقرار والطمأنينة ، كان مكان الحج وزمانه الحرمة والجلال ، وكان موسم الحج عيدا أكبر للمسلمين ، ففى جعل الحرم آمنا وقصر دخوله على المسلمين ، وفى إيقاع الحج فى الاشهر الحرم إعلان لمبدأ الحرية والسلام ، وإكبار لشأنهما وتمكين من ممارستهما دون تخوف من سلطان جائر أو حاكم ظالم أو مفسد عاتٍ .

وفى أجواء الحرية والسلام والمساواة بحق تنبت الافكار الصالحة وتتهيأ الخطط الملائمة وتتضح معالم الشخصية الاسلامية الذاتية التى تريد الاستقلال والوحدة والتقدم وإقامة العدالة الشاملة فى شؤون الحياة ، وأخصها الاستفادة من منتجات البلاد وعطاء الله الخير : « خلق لكم ما فى الارض جميعا » أى أن جميع ما فى الكون مخصص للناس على جهة الانتفاع المشاع ، دون استئثار ولا احتكار ولا استغلال .

وحيثما تقلب الحاج لأداء مناسك الحج يجد لفتة قرآنية الى ضرورة التآخى والتعاون وتغيير مفاسد المجتمع وتجديد شباب الحياة وقلب الاوضاع الاجتماعية بأعدل الوسائل وأكرم الغايات ، ففى قوله تعالى بعد ذكر بعض أحكام الحج : « وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » فى ذلك حث على فعل الخير والتزود من التقوى ، والخير اسم جامع لكل الفضائل الاجتماعية ، والتقوى التى هى التزام الاوامر والنواهى الالهية عنوان بارز على التقيد بآداب المجتمع كما حددها الله ، ومن أولى الاوامر وأهمها المطالبة بوحدة الجماعة الاسلامية ودعمها : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

وفى قوله سبحانه : « فاذا قضيتم مناسككم ، فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » دلالة على أهمية النتائج المستفادة من الحج ، وإدامة تذكر المطالب والمقاصد الربانية والتزام الاوامر العامة إثر التفرق فى أرض الله ، ومن أوجبها قوة الاحساس بمشاعر الاخوة ، وعواطف الايمان ، وتقوية الوحدة ، وإحكام روابطها الاساسية : « إنما المؤمنون إخوة » . ومن المعروف أن سبب نزول آية الامر بذكر الله يوحى بضرورة التجمع على أساس الصالح العام ، فقد كان أهل الجاهلية يقفون فى مجامعهم فى الموسم ، فيفاخرون فيها بآبائهم ، ويذكرون أنسابهم وفعال آبائهم ونحو ذلك مما لا نفع فيه .

وليس فى الدعوة الى الاتحـــاد بين المسلمين هـــدف سوى قوة الجماعة ورهبة جانبها وتحقيق الخير والنفع الكبير لهم فى الدنيا والآخرة ، وهذا هو شعار الحجاج المؤمنين البررة : « ومنهم من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » .

يتبدى لنا من كل هـــذه الاشارات النصية أن العبادة ولا سيما الحج لا تقصد لذاتها كما أشرنا ، وإنما لما تتمخض عنه أو تهدف إليه من إصلاح عام ، أو خير جماعى شامل . وأما الاحاديث المرغبة فى الحج فهى لبعث الهمم وشحذ العزائم باعتبار أن الانسان لا يقدم على فعل شىء غالبا إلا اذا كان منساقا بغايات نفعية خاصة ، وهـــذا لا ننكره عملا بمقتضى الاحاديث المقررة للثواب العظيم لمن بر فى حجه .

ولكن لا يصح الاكتفاء بالثمـــار الخاصة للحج ، وإنما لا بد من تمثل الاهداف البعيدة التى يرمى اليها المشرع من وراء أداء شعائر الحج وتعظيم حرماته وإطعام المحتاجين والانفاق فى سبيل الله . وهذا ما يميز الغرض من فريضة الحج فى الاسلام عن غيره من الديانات كاليهودية والمسيحية والبوذيـــة مثلا التى تقصر معنى الحج على التقديس والتبريك والتطهر من الذنوب والخطايا ، أى أنه مجرد عبادة شخصية ، ولـــذا فلم تثر اهتمام الاوساط الغربية عن اتباع تلك الديانات ، أما فى الاسلام فقد اهتم المستعمرون الغربيون بشأن الحج ، وحاولوا كما أبنت فى فاتحة مقالى عزل الحجاج عن الاهتمام بالمصالح العامة ، وقصر نشاطهم على العبادة المحضة والتزود منها للآخرة ، وترك قضايا الدنيا لاهلها وللحكام فيها ، وفى ذلك البلاء المبين ؟!

ولعل ذلك هو السبب ــ بالاضافة الى جهل الحجاج وعدم ادراكهم مغزى الحج ــ فى أن الحاج الواعى يؤوب الى بلده يائسا أو آسفا على عـــدم الافادة من طاقات هذه الجموع المؤمنة الغفيرة فى مضمار الحياة العامـــة وقضايا الاسلام الكبرى ومصير المسلمين . وقد بدت بوارق أمل باسمة وصيحات اسلامية واعية بضرورة الاستفادة من موسم الحج وعقد مؤتمرات اسلامية متكررة ، لكننا مع الاسف لم نجد للآن صدى وتجاوبا صادقا فى تنفيذ مقررات تلك المؤتمرات ، مما يؤكد ما ندعو إليه من أن الحكام هم المسؤولون عن توحيد روابط المسلمين فى العصر الحاضر .

اليمينيون واليساريون

— ١ —

اليمين واليسار فى اللغة أمرهما ذائع معروف ، وقد أصبحت الكلمتان تطلقان على المعتدل والمتطرف ، وعلى السهل والصعب ، وعلى المعقول وغير المعقول من العقائد والمذاهب والآراء .

والفضل فى استعمال هاتين الكلمتين بهذه المعانى ، وفى ذيوعهما يرجع للقرآن الكريم وحده ، فهو الذى كان له السبق الاول فى ذلك كله ، وعن القرآن الكريم أخذ القدماء والمحدثون يستعملونهما ويرددونهما كثيرا فى أحاديثهم ومحاور كلامهم ..

وليس هناك اليوم كلمات ذائعة مشهورة ، تتردد على الألسنة كهاتين الكلمتين ..

وفضل القرآن الكريم ، على اللغة ، وعلى التجديد والتطور اللغوى ، فى القديم والحديث ، لا يحتاج الى بيان ، فألفاظه وأساليبه هى التى أمدت أدبنا بكثير من كنوز اللغة وطرائفها وأماثيلها ، وصقله للالفاظ ، وتهذيبه للأساليب وتخليده لصور البيان الرائعة والأساليب البديعة ، والبلاغة النادرة ، مما لا يحتاج الى بيان ، ولسنا فى حاجة للدلالة عليه الى برهان ..

— ٢ —

ولأول مرة فى اللغة العربية يرد استعمال اليمين واليسار بالمعانى السابقة فى كتاب الله الحكيم ، فليست هناك نصوص أدبية أقدم من القرآن الكريم ، يتردد فيها ذكر هاتين الكلمتين للدلالة على المعتدل والمتطرف من العقائد والمذاهب والافكار ، أو على الجزاء الالهى العادل فى الآخرة لأهل اليمين وأهل اليسار .



للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم يستعمل اليمين فى كل قصد واضح وجليل ونبيل وانسانى من العقائد ، وليس هناك لفظ أخف استعمالا ، ولا أدق معنى ، ولا أبلغ دلالة من هاته الكلمة فيما استعملت فيه من مقاصد واليمين ترمز الى اليمن ، والحظ الطيب ، والتفاؤل الكـريم ، والطـريق اللاحب والى سلوك السبيل السوى ، والى مرضاة الله وثوابه لسالكيها .

وقد استعمل الشمال فى الدلالة على عكس ذلك كله ، وفى لفظـة الشمال رمز الى تنكب الفطرة ، والى البعد عن المحجة الواضحة ، والى ما فى سلوك مثل ذلك من غاية أليمة ، وفى الشمال ما فى الشؤم من تطير ، وهى توحى بأن طريق الشمال من وسوسة الشيطان ، كما أن طريق اليمين من هداية الله ، ولذلك استعمل القرآن الكريم كلمة الشمال لتدل على أعمق معانى كلمة اليسار ، والتى نستعملها نحن اليوم مخطئين متنكبين عن الاستعمال الدقيق ، كما تنكبنا طريقنا فى فهم معنى اليمين واليسار ، فعكسنا معنى الكلمتين فى استعمالاتنا عكسا بينا ، حتى أصبحنا ندل بكلمة اليمين على الجمود والتأخر والرجعية ، وبكلمة اليسار علـى التحرر ونبذ القديم والدين والعقيدة ، نظن أن ذلك هو سبيل التقدم والنهوض وحاشا لله أن يكون فى اطراح العقيدة ونبذ الدين تقدم أو نهوض أو تحرر .
ومن ثم كان استعمال القرآن الكريم لكلمة (الشمال) ، وإيثاره لها على كلمة (اليسار) ، أعمق فهما ، وأدق مسلكا ، وأدل عـلى المقصود منها .

— ٣ —

وفى القرآن الكريم من سورة الحاقة يقول الله تعالى : « **فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هـاؤم اقرأوا كتابيـه . انى ظننت انى مـلاق حسابيه . فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا وأشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية . وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول : يا ليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها كـانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم ألجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعـون ذراعا فاسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض عـلى طعـام المسكين . فليس له اليوم هاهنا حميم . ولا طعام الا من غسلين . لا يأكله الا الخاطئون** » (الحاقة — الآيات ١٩ — ٣٧) .

والصورتان هنا متقابلتان ، وعلى غاية ما تكون البلاغة والروعة والبيان والسحر والاعجاز ، وفيهما من تطويع الأسلوب وموسيقاه وجماله ما لا نجد له نظيرا ولا شبيها من كلام أبلغ البلغاء أو أعظم الشعراء .

والبلاغة القرآنية هنا تسير فى طريقها الجليل النبيل ، من خدمة الانسانية ، وهداية البشرية الى الحق والى الله والى مثل الحياة وقيمهـا الرفيعة ، واللفظ هنا بقدر المعنى ، والأسلوب والبيان يسيران مع العقل والمنطق والحكمة .. ولا يمكن لواصف أن يصف شتى عناصر البلاغة والنظم فى هذا النص القرآنى العظيم ، لأن القرآن استعصت بلاغته على فهم البلغاء ، وعلى فلسفة النقاد ، فلم يعودوا يعرفون من أمر هذه البلاغة شيئا الا انها من كلام الخالق العظيم والاله القادر الحكيم .

— ٤ —

وفى سورة الواقعة يذكر الله عز وجل أهل الميمنة ، وأهل المشأمة ، وطبقة ثالثة هى طبقة السابقين المقربين ، ويبدأ بذكر الطبقتين الأوليين لوضوحهما وكثرتهما ، وأنهما الغالبية العظمى من بنى البشر ، ويؤخر الكلام على الطبقة الثالثة ، لقلتها وندرتها ودقة أمرها .

والسورة كلها فى الحديث عن هذه الطبقات الثلاث ، من بدئهـا لختامها .. ولننظر فى آياتها الكريمة ، نقف عندها ، نتأمل جلالها وروعتها ، وسحرها وحكمتها ، لنتفهم دلالتها فى حياة الانسانية كلها ، فى ماضيهـا وحاضرها ومستقبلها .

يبدأ الله عز وجل سورة الواقعة بذكر وقوع الواقعة ، أى قيام القيامة وأثرها العظيم على الانسان والكون .. « إذا وقعت الواقعـة . ليس لوقعتها كاذبة » ..

نعم إنها حق وصدق .

« خافضة رافعة . إذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا . »

ثم يذكر الله عز وجل أقسام البشر يومئذ ، يحسب أعمالهم ومنازلهم من الله عز وجل ..

« وكنتم أزواجا ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون » .

ثم يذكر نصيب السابقين فى الآخرة من رضاء الله ونعيمه ، وحظهم فيها من الخير والجزاء الجميل .. وبدأ بهذا القسم الثالث تنويهـا وتعظيما وتشريفا وتبجيلا لمقامهم عند الله .

« أولئك المقربون . فى جنات النعيم . ثلة من الأولين (١) . وقليل من الآخرين (٢) . على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون . لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الا قيلا سلاما سلاما » .

وهكذا تمضى هذه السورة الرفيعة ، جليلة كريمة ، ساحرة باهرة ، تتحدث عن السابقين ومنزلتهم فى الآخرة عند اللـه عز وجل .. وليس غرضنا هنا أن نفسر السورة ، ولكننا نقصد الى بيان مضمونهـا وحده ، وصلة هذا المضمون بماضى وحاضر ومستقبل الانسانية ، ومن ثم فلم نعرض لتفسير الآيات ، ولا لتوضيح الصور ، ولا لبيان بلاغة الاساليب ، فهى ماثلة أمـام كل ذى ذوق ، واضحة عند كل ذى طبع وموهبة من البيان .

ثم يذكر الله عز وجل أهل اليمين ، وما أعده الله لهم فى الآخرة من نعيم ..

« وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . فى سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . إنا أنشأناهن انشاء . فجعلناهن أبكـارا . عربا أترابا . لأصحاب اليمين . ثلة من الأولين (٣) . وثلة من الآخرين » (٤)

وتنتقل السورة الكريمة المكية ، وهى سورة الواقعة ، الى ذكر أصحاب الشمال ، وما أعد لهم فى الآخرة ، من وبال ، وما يلقونه فيها من نكال ..

« وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون : أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ؟ أو آباؤنا الأولون . ؟ قل إن الاولين والآخرين . لمجموعون الى ميقات يوم معلوم » ..

وتستمر السورة فى خطاب هؤلاء الشماليين ، وبيان جزائهم فى الآخرة ، وفى الحجاج معهم رغبة إقناعهم بالبعث وصدق الأمر فيه وإمكان حدوثه عند العقل ، لان قدرة الله لا يستعصى عليها شىء . ولا يعجزها أمر فى الارض ولا فى السماء .

ثم تتحدث السورة الى الرسول الكريم عن القرآن العظيم ، وأنه تنزيل من رب العالمين .. وتعود الى جدال هؤلاء المشركين المكذبين الضالين والى مصيرهم عند الموت .. (٥٠ — ٨٧ من السورة) .

وتلخص السورة ما تتلقى الملائكة به عند الموت كلا من هؤلاء الطبقات الثلاث :

« فأما ان كان من المقربين . فروح وريحان . وجنة نعيم . وأما ان كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما أن كان من المكذبين الضالين . (٦) فنزل من حميم . وتصلية جحيم . ان هذا لهو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم (٧) » ..

وهكذا مضت هذه السورة سورة الواقعة ، فى ذكر اليمينيين واليساريين ،وفى ذكر طبقة رفيعة من خيار الانسانية وأصفيائها ، وهى طبقة السابقين المقربين .

على ما رأينا من الجلال والحكمة والروعة والبلاغة والبيان والسحر ، سارت الى هدفها المقصود من تبصير الانسانية وهدايتها واضاءة الطريق أمامها ، ورسم النهايات المحتومة للبشر واضحة أمام عقلها ومخيلتها وعينيها ، ليهتدى من اهتدى عن بينة ، وليضل من ضل عن بينة .

— ٥ —

وجملة ذلك كله أن الله عز وجل تحدث فى كتابه الحكيم عن اليمينيين واليساريين ، ووصف كلا بأوصافه ، وأبان ما ينال كل منهما من جزاء فى الآخرة عند الله ..

فاذا كان الأمر عند المسلمين المعاصرين قد انقلب الى النقيض ، فصار اليمينيون عندهم كأنهم المتبوذون أصحاب الشمال ، وصار اليساريون عندهم هم المختارون وكأنهم أصحاب اليمين ، فان ذلك من وسوسة الشيطان ، ومن انقلاب الميزان ، ومن فساد المنطق بتأثير سموم الصهيونية ، التى تنفث فى عقول ضعفاء الدين شرورها ، لتضلهم عن الطريق ، وتبعدهم عن الهدف ، وتقصيهم عن رضاء الله ، وعن سبيل العزة والقوة والكرامة ، ولتنقلهم من حالة الذاتية والشخصية الواضحة الى حالة أخرى من التبعية الذليلة والتقليد الأعمى لكل ضال وضار من المذاهب والعقائد والآراء . وفى ذلك للمسلمين المعاصرين الهوان والذل والشقاء الأبدى المقيم .

اللهم اجعلنا من أهل اليمين ، وابعدنا عن ضلالات أهل الشمال ، وأنزل علينا من رحمتك ، ما يهدينا الى سواء السبيل .

---

(١) أى هم عدد ضئيل من الامم السابقة .
(٢) وعدد قليل من اتباع رسالة محمد آخر الرسالات .
(٣) أى هم عدد قليل من الديانات السابقة .
(٤) وعدد قليل من أتباع رسالة الاسلام آخر الرسالات .
(٥) أى أو يبعث كذلك معا آباؤنا الاولون ؟ ممن مضت عليهم آلاف السنين وهم فى أجداثهم راقدون .
(٦) وهم أهل المشأمة .
(٧) الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..



للدكتور محمد محمد أبو شهبة

فى مقال سابق تحدثت عن بعض جوانب حياة إمام الفقهاء ، وهو الامـــام أبو حنيفـــة النعمان ، أحد الائمة المتبوعين والمشهورين ، وقد ركزت عنايتى فى ذاك المقال على نفى تهمة الصقت بالامـــام زورا من قديم الزمـــان ، وهى قلـــة بضاعته فى الحديث ، واليوم أعرض لجوانب أخرى من حياة هذا الامام الكبير ، ولا سيما اجتهاده الفقهى ، ومنحاه فى هـــذا الاجتهاد ، فأقول وبالله التوفيق .

تحول فى حياة الامــــام

لم يشتغل الامـــام فى صغره ومبدأ حياته بطلب العـــلم ، والاختلاف الى مجالس العلماء ، وانما كان يختلف الى الاسواق ، فقد كان يحترف التجـــارة فى البز (١) ، وفى غدوة من غدواتـــه الى السوق ، مر على الامـــام الشعبى وهو جالس . فدعاه ، فقال له : الى من تختلف ؟ فقال أبو حنيفة : أختلف الى فلان — يريد رجلا معروفا بالتجارة — فقال الشعبى : لم أعن السوق ، عنيت الاختلاف الى العلماء ، فقال له أبو حنيفة : أنا قليل الاختلاف اليهم ، فقال له الشعبى : لا

تفعل ، وعليك النظر فى العلم ، ومجالسة العلماء ، فانى أرى فيك يقظة وفطنة ، فقال أبو حنيفة : فوقع فى قلبى من قوله ، فتركت الاختلاف الى السوق ، وأخذت فى العلم فنفعنى الله به .

اشتغاله فى أول طلبه بالجـدل والكلام

وقد رأى أبو حنيفـة فى أول طلبه للعلم الاسلام يتعرض للطعن من بعض الطوائف كالزنادقة وأضرابهم ممن دخلوا فى الاسلام وهم يضمرون الكيد والعداء كمـا رأى ظهور كثير من الطوائـف المبتدعة الذين ابتـدعوا فى الاسـلام ما ليس منه كالروافض ، والخوارج ، والمرجئة ، والقدرية الذين يزعمون أن لا قدر ، وأن الامر أنف (٢) ، فاشتغل فى أول أمره بعلم الجدل ،و الكلام ، والرد على الروافض والخوارج والزنادقة وأضرابهم ، وقد أكسبه هذا اللون من المعرفة قوة فى الحجاج والجدل واقحام الخصوم ، والمرونة العقلية الفائقة ، والقدرة على حل المشكلات والمعضلات ، وسرعة البديهة فى المجادلة ، والمناظـرة مما سنعرض لشىء منه فيما بعد .

ثم خطر له خاطر فقال : ان المتقدمين من أصحاب رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ، والتابعين من بعدهم ، لم يكن فيهم شىء مما نذكره نحن ، وكانوا عليه أقدر ، وبه أعرف ، وأعلم منا بحقائق الامور ، ولم يـروا منازعين ، ولا مجادلين ، ورأيت خوضهم فى الشرائع ، وأبواب الفقه ، فبدا له فى ـ الامـر بـداء (٣) ـ .

اشتغاله بالفقـه

وبينما هو على هذا الحال ، وكان يجلس بالقرب من حلقة الامام حماد بن أبى سليمان الذى صار فيما بعد أجل أساتذة أبى حنيفة ، وأعظمهم تكوينا له ، وتأثيرا فيه ـ اذ جاءته امرأة فقالت له : رجل له امرأة أراد أن يطلقها للسنة ، كيف يصنع ؟ قال أبو حنيفة : « فلم أدر ما أقول ، وسقط فى يدى فأمرتها أن تسأل حمادا ، ثم ترجع الى فتخبرنى ، فذهبت فسألت حمادا ، فأجابها ثم رجعت فأخبرتنى وكان لهـذه الحادثة تأثيرها فى نفسه فقال : لا حاجة لى فى الكلام فأخذت نعلى وصرت أجلس الى حماد أسمع مسائله وأحفظ قوله حتى قال : « لا يجلس أحد فى صـدر الحلقة بحذائى غير أبى حنيفة فصحبته عشر سنين » فقال أبو حنيفة فنازعتنى نفسى الطلب للرياسة يعنى أن يتصدى للتدريس ، فأحببت أن أعتزله وأجلس فى حلقة نفسى ، فخرجت ليلة ، وعزمى أن أفعـل ، فلما دخل المسجد ورأيته لم تطب نفسى أن أعتزله ، فجلست معه ، ولأمر ما ، تخلف حمـاد عن الدرس ، فأمر أبا حنيفة أن يجلس مكانه ، فوردت عليه مسائل ، فكان يجيب عنها ويكتب الجواب ، وبعد شهرين قدم أستاذه حماد ، فعرض عليه أبو حنيفة المسائل التى أفتى فيها فوافقه فى أربعين مسألة وخالفه فى عشرين فآلى الامام أبو حنيفة على نفسه ألا يفارق شيخه حمادا أبدا حتى يموت ، فلم يفارقه حتى مات بعد ما أخذ عليه كل ما كان عنده من علم ، وكان كثيرا ما يناقش شيخه حمادا ويسأله ، ويناظره حتى كان ربما يتبرم منه لذلك روى عن الامام أنه قال : « لزمت

حمادا لزوما ما أعلم أحدا لزم أحدا مثل ما لزمته ، وكنت أكثر السؤال فربما يتبرم منى ، ويقول : « يا أبا حنيفة قد انتفخ جنبى ، وضاق صدرى » .
ولعلك أيها القارىء الكريم على ذكر من الكلمة الصادقة المعبرة عن غاية الاستقصاء التى قالها له شيخه حماد : « لقد أنزفتنى » .

تأهل أبى حنيفة للاستاذية

ولما مات شيخ الامام حماد فكر طلاب العلم والمعرفة فيمن يقوم مقامه فأجلسوا كثيرين من أهل العلم فلم يجدوا عندهم كبير غناء (٤) ، ثم أجلسوا الامام أبا حنيفة ، فوجدوا عنده من العلم والفقه ما لم يجدوه عند غيره ، ووجدوا عنده فى سائر المعارف ، والثقافات السائدة آنئذ نفاذا ، وسعة أفق وعلما غزيرا فلزموه وتركوا غيره ، وعظم شأنه حتى صارت حلقته أعظم حلقة فى المسجد ، فتخرج به أقوام صاروا أئمة فى العلم من أشهرهم الفقهاء : أبو يوسف ، ومحمد ابن الحسن الشيبانى ، وظفر بن الهذيل العنبرى ، وواعظ زمانه الحسن البصرى، وإمام أهل المغازى محمد بن اسحاق بن يسار صاحب السيرة المشهورة ، ومتصوف زمانه ابراهيم بن أدهم وغيرهم .

وكذلك كان مرجع الناس فى الفتوى وحل المشكلات المستعصية والمسائل العلمية العويصة ، بل كانوا يرجعون اليه فيما يعتريهم فى حياتهم الدنيوية ، فيجدون عنده المعونة الصادقة والحل الموفق لا يدخل بلدا الا اجتنع عليه الناس ، فيجدون عنده المعونة الصادقة والحل الموفق لا يدخل بلدا الا اجتمع عليه الناس ، وسألوه ، قال الامام الليث بن سعد محدث مصر ، وعالمها وفقيهها : كنت أتمنى رؤية أبى حنيفة حتى رأيت الناس متقصفين (٥) على شيخ فقال له رجل يا أبا حنيفة وسأله عن مسألة ، فوالله ما أعجبنى صوابه ، كما أعجبنى سرعة جوابه .

منحاه فى الاجتهاد

الامام أبو حنيفة كغيره من الكثيرين من أئمة الفقه والاجتهاد يأخذ بالاصول الاربعة ، التى تستنبط منها الاحكام ، ويعرف الحلال والحرام : ١ — الكتاب ٢ — والسنة ٣ — والاجتماع ٤ — والقياس والثلاثة الأولى قدر متفق عليه بين جميع الفقهاء ، وأما القياس فهو محط خلاف الفقهاء فى الاخذ به أو عدم الاخذ به ، والآخذون به يختلفون فى الاخذ به قلة وكثرة ، فمنهم المكثر ومنهم المقل لاصول أصلوها وقواعد وضعوها .

وقد كان الامام أبو حنيفة — رضى الله تعالى عنه عالما بالاصلين الشريفين ، اللذين اليهما عند التحقق مرجع جميع الاحكام ، وهما القرآن الكريم والسنة المطهرة ، علما أهله لان يكون إماما كبيرا بين أئمة الاجتهاد فى الاسلام ، أما علمه بالقرآن الكريم ، وأسباب نزوله ، وأول ما نزل ، وآخر ما نزل ، وتدرجه فى التشريع ، ومكيه ومدنيه ، وعامه ، وخاصه ، ومطلقه ، ومقيده ، ومحكمه ، ومتشابهه ، وناسخه ، ومنسوخه فهذا ما أقر به الموافق والمخالف ، وأما علمه بالمصدر الثانى من مصادر التشريع فى الاسلام .... فقد بينت فى المقال السابق

بما لا يدع مجالا للشك علم الامام أبى حنيفة بالسنن والاحاديث ، ونفيت عنه تهمة قلة بضاعته فى الحديث ، وندرة ما صح عنه من أحاديث .

وقد بين لنا الامام أبو حنيفة منهجه فى الاجتهاد ، فقد روى عنه أنه قال : « آخذ بكتاب الله ، فان لم أجد فى كتاب الله فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم أجد فى سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع من شئت ، ولا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم فاما اذا انتهى الامر الى ابراهيم يعنى النخعى — والشعبى وابن سيرين والحسن يعنى — البصرى — وعطاء — أى التابعين — فقوم اجتهدوا ، فاجتهد كما اجتهدوا » وروى عنه أيضا أنه قال « اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « فعلى الرأس والعين » واذا جاء عن الصحابـــة اخترنا ولم نخرج عن رأيهم ، واذا جـــاء عن التابعين زاحمناهم » (٦) وقد قدمت فى المقال السابق أن الامام أبا حنيفة يعتبر من التابعين لانه لقى بعض الصحابة بل قيل إنه روى عن بعضهم فهو حينما يزاحمهم ويجتهد مثلهم فلأنه من طبقتهم ، وهو منهج لا غبار عليه .

ولكن بعض الحاسدين له ، والحاقدين عليه رموه بأنه لا يأخذ بالاحاديث والآثار ويغلب الرأى والقياس عليها . وها هو الامام يدافع عن نفسه فيقول : « عجبا للناس يقولون أفتى بالرأى وما أفتى الا بالاثر » .

وقال لما سئل عن الكلام فى الاعراض ، والاجسام : هذه مقالات الفلاسفة عليك بالاثر وطريقة السلف واياك وكل محدثة فان كل محدثة بدعة (٧) ، فهل بعد هذه المقالات الواضحة البينة يدعى مـــدع أن الامـــام كان لا يأخـــذ بالاحاديث والآثار (٨) — .

نعم اذا لم يجد فى القرآن والسنة والاحاديث وضاق عليه الاستدلال بها ولم يكن فى المسألة اجماع فليس الا إعمال الرأى والاجتهاد وهذا هو ما دل عليه الحديث المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل الانصارى الخزرجى ، الامام المقدم فى علم الحلال والحرام حين بعثه الى اليمن فى السنة العاشرة للهجرة أميرا وقاضيا ومفتيا « كيف تصنع إن عرض لك قضاء » قال بما فى كتاب الله ، قال « فان لم يكن فى كتاب الله » ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد ، وإنى لا آلو — أى لا أقصر . — قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى (٩) ، ثم قال « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله» رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، وهذا تقرير قولى من النبى صلى الله عليه وسلم لطريقة معـــاذ ، ومنهجه فى الحكم والاجتهاد — وقد شاع على السنة بعض أهل العلم ولا سيما المتحاملين منهم على الامام أبى حنيفة أنه لا يأخذ بكثير من الاحاديث ، وأنه يرجح الرأى والقياس عليها ، وهى مقالة فيها تجن على الامام ، ومجافاة للحق والواقع ، واليك ما قالـــه إمام اشتهر بحـــدة اللسان ، وصراحة النقد ، وعدم المداهنة فى الحق ، وهو الامام أبو محمد ابن حزم الاندلسى قال : وجميع أصحاب أبى حنيفة مجمعون على أن مذهب أبى حنيفة : ان ضعيف الحديث أولى عندهم من القياس ، والرأى : فهو لا يقيس الا اذا انسدت عليه مسالك الاستدلال بالاحاديث التى يحتج بها .

وقد بينت أن الامام له شروط شديدة فى الحكم على الاحاديث بالصـــحة

والحسن ، ومعاذ الله أن يترك حديثا صحيحا ، ثم يحتج بالقياس والرأى ، وما عسى أن يبدو فى نظر بعض العلماء والباحثين أنه كذلك بادىء الرأى ، فعند التحقيق والتدقيق يظهر أنه ليس كذلك ، وأرجو أن تتاح لى الفرصة للحديث عن ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

على أنى أحب فى هذا المقام أن أقول : ان المجتهد مهما جلت منزلته واتسع علمه بالاحاديث والآثار لا يلزم أن يبلغه كل حديث مروى ، ولو بلغه فليس بلازم أن يصح عنده ، ولو صح عنده فليس بلازم أن يأخذ به لانه قد يكون — ولو فى نظره هو — مرجوحا ، أو منسوخا ، أو مخصصا بدليل آخر أو مقيدا ، أو غير ذلك مما يعرفه أهل العلم بأصول الفقه ، ومسالك الاجتهاد فى الاسلام ، ومن ثم كان اختلاف الائمة فى الفروع الفقهية مع أنهم جميعا كان معولهم فى استنباط الاحكام الفقهية على القرآن والسنة ، وكانوا ينشدون الحق والصواب لا يبغون بهما بديلا ، ولم يكن للهوى النفسى ، والتعصب للرأى بغير حق أى أثر فى استنباطاتهم ، واجتهاداتهم ، واذا حدث فى بعض العصور تعصب مذهبى فقد كان ذلك فى العصور المتأخرة ، ومن اتباع الفقهاء المتأخرين حينما كسدت سوق الاجتهاد وغلبت ملكة التقليد .

وقد نقل الامام الشاطبى فى الموافقات أنه ما من إمام من الائمة الاربعة الا صح عنه أنه قال : « اذا صح الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط » وهذا هو اللائق بمقام أئمتنا الكبار وأخلاقهم ، وجلال أقدارهم .

هذا ولا يزال فى الحديث عن الامام الاعظم أبى حنيفة مجال ومجال ، فالى المقال الآتى إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى القاموس المحيط : البز : الثياب ، أو متاع البيت من الثياب ونحوها ، وبائعه البزاز ، وحرفته البزازة .

(٢) أى مستأنف : أى أن الله لا يعلم بالاشياء قبل وقوعها ، وقد تطورت كلمة القدرية فأضحت وصفا لمن يقولون ان العبد يخلق أفعاله الاختيارية وهم المعتزلة .

(٣) أى ظهر له رأى .

(٤) غناء بفتح الغين — أى نفع واستغناء بهم عنه .

(٥) مجتمعين فى التزاحم عليه .

(٦ ، ٧) عقود الجمان فى مناقب أبى حنيفة النعمان مخطوط بمكتبة الحرم المكى .

(٨) الحديث : هو قول النبى صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وتقريراته ، وصفاته الخلقية ، والاثر : هو ما روى عن الصحابة من أقوالهم وأفعالهم من غير أن يرفع وينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم .

(٩) يعنى بيده تثبيتا لما فى قلبه من هذا العلم المكنوز ، والفقه الاصيل ، وزيادة شرح لصدره .



التراث المفقود والموجود ..

للاستاذ عبد الرحمن أحمد شادي

طالما وجدت الكتب من ينفق عمره فى مطـالعتها وحفظها وصيانتها ولا يبخل عليها بشىء من ماله .. أما النكبات والمحن والبؤس الذى صادفته الكتب فشىء محزن كان نتيجة لعواصف الحقد البشرى الذى أتى فيما أتى على الكتب فدمرها وأحرقها وفعل بها الافاعيل ومزقها شر ممزق ، وويل للمغلوب من الغالب ، وللناسك من الفاتك ، وللمفكر من الذين لا يعرفون الا الظفر والناب والمخلب .

وقد خطر لى أن أجمع من مطالعاتى بعض حوادث بؤس الكتب ونعيمها وحين يطالع القارىء هذه الحقائق التاريخية والبيانات الواردة فى البحث فسيرى فداحة النكبة وبشاعة المحنة التى تعرض لها هذا التراث .

ولم يبق للأمة العربية والاسلامية بعد هذه الكوارث التى تعرضت لها الكتب ودورها وخزائنها — وأصيب بها الفكر العـربى والاسـلامى فى الصميم — الا واحدا فى الألف ، أما ما ضاع فهو تسعة وتسعون وتسعمائة كما قال المرحـوم أحمد زكى شيخ العروبة .

وقد صدق فيما قال ولم تتطرق المبالغة الى كلامه فى قليل ولا كثير وتبدو فداحة هذه الخسائر اذا علمنا أن بعض العلماء كالبيرونى كان فهرس كتبه فى نحو ستين ورقة بخط مكتنز فى علوم النجوم ، والهيئة والمنطق والحكمة وقد رأى ياقوت (١) هذا الفهرس لكتب البيرونى فى وقف الجامع بمرو ...

وهذا مثل آخر عن ابن حزم العالم الاندلسى المشهور روى نجله الفضل أبو رافع أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وبلغت مصنفاته حمل بعير ولم يتعد أكثرها عتبة باديته (٢) .

والجاحظ أيضا من المكثرين فى التأليف ، فله أكثر من ثلاثمائة وخمسين كتابا .

والكندى له مائتان وثلاثون كتابا .

والرازى له مائتان من الكتب ، أشهرها الحاوى فى الطب والمنصورى فى التشريح .

وأبو العلاء المعرى له هذا العدد من الكتب أيضا ، وشعره وحده أكثر من مائة ألف بيت .

ومن أراد أن يستكثر من المعلومات فى هذا الشأن فليطالع كتاب عقود الجوهر ، فيمن لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر . تأليف جميل العظم طبع فى بيروت ١٣٢٦ هـ ، وقد رتب العلماء فيه بحسب الشهرة ، ولكنه جعل كتب كل عالم أو مفكر أو فيلسوف حسب الحروف الأبجدية ، وقد ذكر الكتب ولم يبين الموجود والمفقود والمطبوع والمخطوط بصفة مطردة ، وان كان قد فعل ذلك أحيانا ، وفيه كتب الغزالى وابن العربى وابن الجوزى الخ .

هذا من جهة العدد ، أما ضخامة حجم الكتب فيكفى أن نذكر أن بعضها بلغ (٣) ثلثمائة مجلد وهو كتاب الشامل فى الطب لابن النفيس .

وبلغ كتاب الايك والغصون لابى العلاء المعرى مائة مجلد .

ويقع تاريخ الاسلام للذهبى فى خمسين مجلدا ، لم يطبع منه الا خمسة فقط .

مسالك الابصار فى ممالك الامصار للعمرى يقع فى خمسة وأربعين مجلدا لم يطبع منه الا الجزء الأول فقط .

والأغانى لأبى الفرج الاصفهانى فى واحد وعشرين جزءا وطبع أكثر من مرة .

وتفسير القرطبى طبع فى عشرين جزءا . الخ .

وهذه أمثلة فقط وهناك كتب كثيرة مشهورة بضخامة حجمها وكثرة أجزائها ومجلداتها ولا يستطيع ناشر واحد أن يقوم بطبعها على نفقته ، فحبذا لو كان هناك تعاون وثيق بين الناشرين فى مختلف الدول العربية والبلاد الاسلامية ودوائر المستشرقين ، فتوزع على هذه الدور أجزاء الكتاب لتقوم كل واحدة بطبع جزء مخصوص وبذلك يتم طبع الكتاب الضخم مرة واحدة ثم تكرر هذه العملية فى كتاب آخر ، وهكذا الى أن يتم طبع جميع المخطوطات ، ولا يبقى الا الأصول فقط الى أن يسعدنا الحظ بظهور مخطوطات أخرى لا يعرف الناس عنها شيئا .

بذلك نتقدم فى هذا الميدان بدلا من التوقف الذى نعانيه أو التقدم

البطىء ، وهذا شىء من مجهود الذين بذلوا النفس والنفيس وساعدهم غناهم على ذلك فى جمع الكتب من المشارق والمغارب ونقبوا عن المخطوطات حتى جمعوا منها ثروة طائلة .

ومن هؤلاء الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى بالأندلس ، فقد كان يرسل وكلاءه ومندوبين وسفراءه ومبعوثيه لجمع الكتب من سائر الأمصار الإسلامية كبغداد والقاهرة ودمشق ودفع فى نسخة من كتاب الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى ألف دينار من الذهب الخالص ، واشترى من تاريخ الطبرى نسخة بمائة دينار ، وتعددت النسخ من الكتاب الواحد عنده حتى كان فى مكتبته من كتاب الخليل بن أحمد نيف وثلاثون نسخة احداها بخط الخليل بن أحمد مؤلف الكتاب وكان عدد الفهارس أربعة وأربعين فهرسا فى كل منها عشرون ورقة .

وكان بعواصم الاندلس الاخرى غير قرطبة نيف وسبعون مكتبة (٤) .

ومن هؤلاء ابن عباس وزير زهير أمير المرية أحد ملوك الطوائف بالاندلس اجتمع فى قصره أربعمائة ألف مجلد عدا الكراسات (٥) .

أما المشارقة فمنهم الصاحب بن عباد كانت مكتبته تحمل على أربعمائة جمل أو أكثر وانشأ دار كتب بالرى أوقفها على طلاب العلم وكان فيها كتاب الحجة لأبى على الفارسى .

وأسس نوح بن منصور السامانى فى بخارى مكتبة يحملها أربعمائة جمل . وكانت كتب القفطى الوزير المشهور تساوى خمسين ألف دينار أوصى بها للناصر صاحب حلب ولم تكن له زوجة تشغله عن كتبه وقصد بها من الآفاق لحبه لها وحرصه على اقتنائها .

أما آل عمار القضاة بطرابلس الشام فكان لهم مائة ألف ناسخ تجرى عليهم الارزاق سنويا وبلغ عدد الكتب عندهم ثلاثة ملايين .

أما فى الحديث فيكفى أن نشير الى جهود المرحوم أحمد زكى شيخ العروبة فقد زار الاسكوريال بمدريد قبل ١٨٩٤ م وحصل وحده على أكثر من ستة آلاف مخطوط بالنسخ أو التصوير أو الشراء .

وجمع المرحوم أحمد تيمور عشرين ألف مجلد من الكتب المطبوعة والمخطوطة وبذل فيها الأموال بسخاء وخصوصا على المخطوطات ، وقد ضمت المكتبة الزكية والمكتبة التيمورية الى دار الكتب .

وعلى مبارك هو صاحب الفضل الأول فى انشاء دار الكتب المصرية عام ١٨٧٠ م لانقاذ الكتب وحفظها من الضياع والأطماع وبقائها رهينة الانتفاع (٦) وقد وصف هو انشاءه لدار الكتب فى كتابه المعروف الخطط التوفيقية .

ويتكون قسم كبير مما فى المكتبات العامة ودور الكتب من وقف الأفراد واهدائهم الكتب فى حياتهم وبعد موتهم .

ومن الخطوات الهامة التى تمت لانقاذ التراث المبعثر فى ارجاء العالم انشاء معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، فقد بلغ ما صور وسجل (٧) من المخطوطات العربية القديمة ما يزيد على عشرة آلاف مخطوط .

وانشاء مجلة تصدر عن هذا المعهد مرتين فى العام لاحصاء المخطوطات العربية فى العالم ووصف أهم ما فيها ، والتعريف بمحتوياتها

الأستاذ عبد السلام هارون فى كتابه نوادر المخطوطات فى أربعة أجزاء .

ومخطوطات الموصل وداود جلبى طبع بغداد عام ١٣٤٦ — ١٩٢٧ .
والمخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى لأسامة ناصر النقشبندى نشرته وزارة الثقافة والاعلام ببغداد .

ولم تكن التفرقة بين المطبوعات والمخطوطات معروفة فى العصور القديمة لم يعرفها أحد الا بعد اختراع الطباعة ، فقد كان خط النساخ هو الأداة الوحيدة لنقل الكتاب . أما بعد أن عرف العالم الطباعة فقد ظهر الاتجاهان ..

احصاء الكتب المطبوعة ومحاولة التعريف بها وبمؤلفيها وبموضوعاتها ومن أقدم الكتب فى هذا الموضوع اكتفاء القنوع بما هو مطبوع للمستشرق أدورد فنديك طبع عام ١٣١٣ هـ — ١٨٩٦ م رتبه حسب العلوم والموضوعات ثم ألحقه بفهارس لأسماء الكتب والمؤلفين وبمراجعة الفهارس الثلاث يعرف القارىء ما فاته فى النظرة العجلى .

ومنها معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس فى أحد عشر جزءا طبعة ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م مرتب بحسب أسماء المؤلفين .

ومعجم المؤلفين — عمر رضا كحالة طبع بدمشق سنة ١٣٧٦ هـ —

١٩٥٧ م فى أربعة عشر جزءا ويذكر فيه كتب كل مؤلف المطبوعة والمخطوطة وأماكن وجودها . وهو مرتب بحسب أسماء المؤلفين .

ومن قبل أن ينفصل الاتجاهان كان كتاب الفهرس لابن النديم من أوائل الكتب التى حاولت حصر واحصاء كتب التراث العربى . وقد رتب الكتب فيه حسب العلوم ، وجعل لكل علم مقالة خاصة ويذكر قائمة بكتب المؤلف الذى يتحدث عنه .

وبعده بأمد طويل كان كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لملا كاتب جلبى المشهور بحاجى خليفة محصيا لكتب التراث وقد رتبها حسب أسماء الكتب ..

أما حديث النكبات والمحن فيبدأ بحريق مكتبة الاسكندرية التى أحرق الأسقف تيلو فيلوس جزءا منها سنة ٣٩٠ م ثم أحرق معظمها فى عهد الملك تيودوس سنة ٩٣٠ م واتهم العرب عند فتحهم لمصر باحراقها وأبى الزاعمون والمتهمون الا أن يجعلوا عمر بن الخطاب شريكا لعمرو بن العاص فى هذه التهمة .

وقد صرح المستشرقون أنفسهم ببراءة العرب من هذه التهمة كما جاء فى دائرة المعارف الاسلامية صـ ٣٢٨ جـ ٣ الترجمة العربية الطبعة الثانية . وخلاصة تاريخ العرب لسيديو ص ٨١ ط ١٣٠٩ هـ .

ومنها احراق مكتبة بغداد التى أنشأها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير الذى تولى الوزارة لبهاء الدولة أحد ملوك الديالمة ثلاث مرات وتوفى سنة ٤١٦ هـ ببغداد ، فقد جمع فيها أكثر من مائة ألف مجلد ،

ووقف عليها الأوقاف ولم يكن فى الدنيا أحسن كتبا منها كانت بخطــوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة كما قال ياقوت (٨) واحترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية الى بغــداد سنة ٤٤٧ هـ .

وأحرق الصليبيون سنة ٥٠٢ هـ ـ كتب آل عمــار فى طرابلس الشام وسبقت الاشارة الى عددها .

ولما ورد محمود بن سبكتكين مدينة الرى زعموا له ان ما فى مكتبتها هو كتب الروافض واهل البدع واستخرج ما كان منها فى علم الكــــلام « وأمر » بحرقه (٩) وكان فهرس مكتبتها فى عشرة أجزاء .

أما مكتبة بخارى فقد أحرقت واتهم ابن سينا باحراقها بعد أن حصل ما فيها من العلم لئلا يعرف أحد من أين أخذ علمه وهذا مستبعد (١٠) وكان فى ساوة وهى مدينة حسنة بين الرى وهمذان دار كتب لم يكون فى الدنيا أعظم منها قال ياقوت ان التتار قد أحرقوها (١١) وفى مــرو عاصــمة خراسان وصف ياقوت خزائن الكتب التى كانت بها وانها بلغت عشر خزائن وقد نسى من حبهــا كل بلد حتى الاهل والولد كمــا قال هو فى معجمه المشهور .

«١» صـ ٣٤٢ جـ ٢ بلدان ياقوت .
«٢» صـ ٣١٥ جـ ٢ ادباء ياقوت ط مرجليوث .
«٣» صـ ١ جـ ٥ وفيات الاعيان لابن خلطان .
«٤» صـ ٢١ جـ ٥ بلدان ياقوت .

وذكر أن فى العزيزية احدى هــذه الخزائن بالجامع اثنا عشر ألف مجلد (١٢) وبلغ من سهولة الاستعارة وفرط الثقة بين الناس أنه كان يجتمع فى منزله مائتا مجلد أكثرها بغير رهن تكون قيمتها مائتى دينار واضطر ياقوت الى الرحيل فرارا من التتر وفارقها قبل النكبة وقد خربها التتر ولم يكن للكتب عندهم قيمة فقد اتخذوا من الكتب فى بغداد جسرا يعبرون عليه نهر دجلة ..

وفى الاندلس كانت كتب الفلسفة مضطهدة حتى احرق عبد الرحمن الناصر كتب ابن مسرة فيلسوف قرطبة الاول ..

وأحرق المنصور بن أبى عامر كتب الفلسفة أيضا ليتقرب بذلــك الى الفقهاء .

وأحرقت كتب ابن حزم الفقيه الظاهرى المعروف بأشبيلية فى عهــد المعتضد بن عباد (١٣) .

وفى حصار البربر لقرطبة بأمر الحاجب واضح من موالى المنصور ابن أبى عامر بيع أكثر ما جمعه الحكم المستنصر ونهب الباقى عند اقتحامهم المدينة .

ثم كانت الطامة الكبرى بعــد الهزيمة فقد أعــدم مطران طليطلة

الكردينال كيمنيتش جميع آثار المسلمين وأحرق ثمانين ألف كتاب عربى بخط اليد فى الميادين والرحبات العامة بمدينة غرناطة (١٤) .

وفى احدى ساعات اليأس أحرق أبو حيان التوحيدى بيديه كتبه التى ألفها قصدا وعمدا وكان فى عشر التسعين ، واعتذر الى القاضى أبى سهل على بن محمد الذى كتب اليه يعذله على صنيعه ولعل كتبه الباقية قد صدرت عنه وانتشرت بين الوراقين قبل ان يفعل فعلته تلك ..

وهذا أبو سعيد السيرافى لم يفعل ذلك بنفسه وانما أوصى ابنه بحرق كتبه اما ابو عمرو بن العلاء فقد لجأ الى طريقة أخرى لابادة كتبه وهى دفنها فى الارض ، وقد أوصى محمد بن العلاء بن كريب الهمذانى أحد شيوخ البخارى ومسلم والسجستانى والترمذى والنسائى وابن ماجه ان تدفن كتبه فدفنت ومات بالكوفة لثلاث بقين من جمادى الاولى سنة ٢٤٣ هـ .

وهذه طريقة جديدة وهى طرح الكتب فى البحر لجأ اليها داود الطائى وسبقت الاشارة الى طرح التتار للكتب فى دجلة لتعبر عليها جنودهم ومنهم من مزق كتبه وطيرها فى الريح كما فعل سفيان الثورى .
ومنهم من كان العجز سببا فى ضياع كتبه كما حدث لعبد الله بن خلف بن رافع المسكى أبى محمد المصرى الذى جمع تاريخا لمصر ومات وهو فى المسودات وعجز عن تبييضها فبيع على العطارين لصر الحوائج كأن لم يكن بمصر من يعينه على تبييضه ولا ذو همة فيشتريه كما قال ياقوت (١٥).

ولا زالت هذه المحنة قائمة لكثير من العلماء والادباء الناشئين الذين يعجزون عن نشر كتبهم على نفقتهم ويأبى أى ناشر أن يغامر بالطبعة الاولى لمؤلف مجهول أو كاتب مغمور وكم أضاعت هذه العقبة الكئود من كتب ودفنت من مواهب ..

وتنكب الكتب بعد موت أصحابها وعدم اهتمام الورثة بهواية أبيهم وتقديرهم لما أفناه فيها من زهرة عمره وصفوة ماله ومن هذا على سبيل المثال (١٦) أن مكتبة الحاج أمين الجليلى بالموصل قد تشتت بعد وفاة صاحبها ..

ومن أسباب الضياع أيضا كثرة التنقل والاسفار لأن العالم لا يريد أن يفارق كتبه ويحب صحبتها فى أى مكان فتتعرض للضياع ..

وتعيث عوامل البلى كالعثة والارضة والفئران فى المخطوطات الباقية فسادا كلما طال عليها الزمن فهى لا بد أن يكتب عليها الفناء الا أن تبعث من جديد بواسطة المطبعة فتصدر عن المخطوط الواحد آلاف النسخ ومن ألوان المحن التى تتعرض لها الكتب السرقة والنهب والتهريب وبهذه الطريقة نقلت وهربت الكتب فى الحروب الصليبية من قبرص وكريت وجزائر البليار والاندلس والاستانه ومصر .. الى أوروبا .

وحرض علماء الحملة الفرنسية على مصر على أخذ الكتب ونقلها الى فرنسا بعد الاستيلاء عليها من المساجد والزوايا .

ونقل الأتراك كثيراً من النفائس والكتب من مصر وأيران والعراق والشام الى تركيا فى مختلف الازمنة .
ولذلك كانت مكتبات أوروبا وتركيا غنية وعامرة بالمخطوطات وخصوصا بريطانيا وفرنسا وايطاليا والفاتيكان وألمانيا وهولندا وروسيا وأمريكا . ومن هذه الحوادث أن مكتبة مولاى زيدان كانت فى سفن ثلاثة فاستولت عليها مراكب الاسبانيين سنة ١٦٧١ م ١٠٨٢ هـ وأودعت فى قصر الاسكوريال وضاعت كمية ضخمة من المخطوطات عند هجوم الفرنسيين واحتلالهم لتونس عام ١٥٣٦ م وأحرقوا ما فى قسطنطينة من الكتب المخطوطة والمطبوعة عند احتلالهم للجزائر سنة ١٨٣٠ م ..
وغالبا ما تجنى المحن التى يتعرض لها العلماء والادباء والفلاسفة والمفكرون على كتبهم ومن هذه المحن الاضطهاد بسبب مخالفته رأيه لمن يضطهده وقد ذكرنا مصير كتب ابن مسرة وابن حزم .
١ — وهذا ابن الابار قتل طعنا بالحراب لأنه هجا السلطان سنة ٦٥٨ وفى اليوم التالى أحرق رفاته ومصنفاته وأشعاره وأجازاته العلمية محرقة واحدة (١٧).
وهذا شهاب الدين السهروردى قتل بحلب ٥٨٧ هـ قاربت كتبه الخمسين ولم يبق منها الا هياكل النور طبع ومجموعة ضخمة فى الحكمة الالهية نشرتها له جمعية المستشرقين الالمانية (١٨) .
وسأذكر بعض الامثلة على ضياع معظم كتب العلماء .
هذا ياقوت مؤلف معجم البلدان والادباء والمشترك لم يبق من كتبه الا هؤلاء الثلاث فقط ..
والقفطى الوزير الاديب بلغت مؤلفاته ستة وعشرين ولم يبق منها الا ثلاثة فقط (١٩) .
وأبو حيان الاندلسى المولود بغرناطة فى شوال ٦٥٤ هـ والمتوفى بالقاهرة ٧٤٥ ألف وخمسة وستين مصنفا كثير منها فى أكثر من مجلد ولم يبق له الا خمسة عشر (٢٠) .
وابن الخطيب الوزير المشهور صاحب كتاب الاحاطة فى تاريخ غرناطة بلغت مؤلفاته ستين لم يبق منها الا ثلثها (٢١) .
وماذا بقى لأبى العلاء المعرى الا سقط الزند واللزوميات ورسالة الغفران والفصول والغايات وهو ناقص لا يوجد الا الجزء الاول فقط .. ورسائله ، أما الشعر فيكفى أن نذكر فيه مقالة أبو عمرو بن العلاء (٢٢) .
« ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » ..
ومن الشعراء الفلاسفة الذين ضاع شعرهم ابن الشبل البغدادى والخريمى من شعراء بغداد فى عهد الامين والمأمون وابن الحجاج من شعراء بغداد فى عصر ملوك الديالمة وكان ديوانه فى عشرة مجلدات يباع بالثمن الغالى كما روى ابن خلكان .
وهناك كتب ابتسم لها الزمان بعد عبوسه نصف ابتسامة فضاعت أصولها ولكن الترجمة أبقتها للعالم مثل شروح ابن رشد الفيلسوف الاندلسى لأرسطو فقد ترجمت الى اللاتينية والعبرية ، أما الاصول العربية فهى ضائعة ..

ومنها كتب بقى القليل من نصوصها محفوظا فى مؤلفات من نقلوا واقتبسوا عنها وعلى سبيل المثال فقد حفظ لنا الثعالبى فى كتابه يتيمة الدهر شعرا كثيرا ضارعت دواوين شعرائه أو بقيت منها نسخة أو بقية صادفها رجل من أهل البصر بالكتب والتقدير لما فيها والمال الذى يشتريها فأنقذها (٢٣) من العدم ومن هذا الجزء الاول من الفصول والغايات (٢٤) الذى عثر عليه محب الدين الخطيب فى دشت اشتراه من شيخ وراقى بمكة المكرمة عام ١٣٣٧ هـ واستخرجه ورتبه ثم حفظه بالمكتبة التيمورية الى أن طبع ونشر .

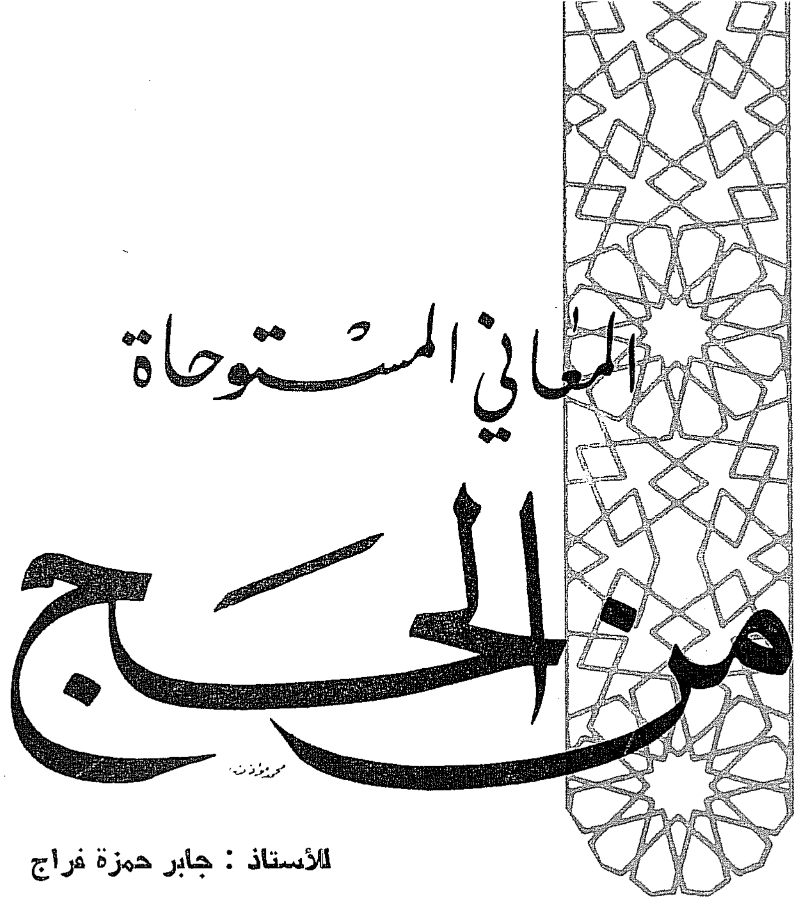
أحيا الله الموتى من الكتب وبعث ما فى القبور من المخطوطات على يد الطبع والنشر ..

وبعد فكم سررت بهؤلاء الذين اشتهروا بحب الكتب وأفنوا فى جمعها ومطالعتها وحفظها أعمارهم .. وانفقوا كثيرا مما ملكته أيديهم من أجل الحكمة المسجلة والعلم المعروف والأدب الخالد .. وسبحان من وضع فى كل قلب ما يشغله ..

ثم حزنت وأنا أجمع هذه المعلومات التاريخية المتناثرة فى بطون الكتب والصحف حول التراث المفقود فأورثت فى الصدر غلة لا مياه النيل ترويها ولا أمواه دجلة كما قال المرحوم أحمد شوقى ..

---

(١) ص ٣١١ جـ ٦ أدباء ياقوت ط مرجليوث .
(٢) ص ٢٣٩ جـ ١٢ أدباء ياقوت ط فريد رفاعى .
(٣) ص ٤٠٣ جـ ٣ دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية الطبعة الثانية .
(٤) ص ١٤٩ تاريخ العرب فى اسبانيا محمد عبد الله عنان ط ١٩٢٤ .
(٥) ص ٤٧ ملوك الطوائف بالاندلس لدوزى ترجمة كامل كيلانى .
(٦) ص ٥١ جـ ٩ الخطط التوفيقية على مبارك مادة برنبال .
(٧) ص ٨٧ دليل جامعة الدول العربية وبطرس غالى ١٩٧٠/٣ الاهرام الاقتصادى .
(٨) ص٣٤٢ جـ ٢ بلدان ياقوت .
(٩) ص ٣١٥ جـ ٢ أدباء ياقوت ط مرجليوث .
(١٠) ص ١١ جـ ٥ وفيات الاعيان لابن خلكان .
(١١) ص ٢١ جـ ٥ بلدان ياقوت .
(١٢) ص ٣٦ جـ ٨ بلدان ياقوت — مرو .
(١٣) مقدمة طوق الحمامة فى الالفة والآلاف.
(١٤) ص ٢٦٥ خلاصة تاريخ العرب لسيديو .
(١٥) ص ٥٦ جـ ٨ بلدان ياقوت .
(١٦) ص. جـ مقدمة رسائل الجاحظ نشر باول كراوس ومحمد طه الحاجرى ١٩٤٣ .
(١٧) ص ١٩٥ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية ، الطبعة الثانية .
(١٨) أضواء من الماضى سامى الكيالى اقرأ ص ٩٢ .
(١٩) مجلة العربى الكويتية ١٩٧٠/٢ ابراهيم القطان .
(٢٠) ص ٤٥٨ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية .
(٢١) ص ٤٥٨ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية .
(٢٢) ص ٢٦٩ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية .
(٢٣) ص ١٧ طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى .
(٢٤) مقدمة الفصول والغايات لابى العلاء المعرى .



للأستاذ : جابر حمزة فراج

ان الناظر الى أداء فريضة الحج يرى عجبا .. والرائى لا يشاهد الا ما يدعو الى الدهشة فاذا رأيت ثم رأيت موكبا من مواكب الله وقافلة من قوافل الايمان .. وجيشا من جيوش الحق .. وجندا من جنود اليقين .. هديرهم تكبير .. وهتافهم تسبيح .. ونداؤهم تلبية .. ودعاؤهم تهليل .. مشيهم عبادة .. وزحفهم صلاة .. وسفرهم هجرة الى ربهم .. وغايتهم مغفرة ورضوان .. تراهم فى حشدهم صورة متكاملة متناسقة فى اطار نورانى على اختلاف أجناسهم .. وتباين اللغات وتغاير الأوطان .. اجتمعوا على كلمة الله .. والتأموا فى بيت الله .. والتحموا امام الله فى رحمة وعطف .. وحنان ، شعار كل فرد منهم ((واخفض جناحك للمؤمنين)) .. مظهرهم كأنهم بنيان مرصوص .. تركوا البلاد والديار والأهل والأولاد .. والتجارة والأعمال .. لم تسقهم قوة قاهرة .. ولم تجبرهم قوانين دنيوية .. بل جاءوا مندفعين بدافع من أعماقهم منبثق من وجدانهم نابع من فيض ايمانهم .. ومعين يقينهم .. قطعوا الفيافى والقفار .. واجتازوا الجبال والوديان .. وعبروا البحار والأنهار .. وطاروا على متن الهواء .. قاصدين بيت الله الحرام .. يعيشون فى رحابه .. وينعمون بقدسيته .. مستشرفين بضيافته متلمسين لرحمته .. مستهدفين المغفرة .. مستمطرين الرضوان كما قال ربهم ((واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)) ..

البيت الحرام : —

هو بيت العز والشرف ، بيت المجد والكرم ، بيت الرجاء والأمل .. واحة الضال .. وهداية التائه .. وملجأ القاصد .. وملاذ الخائف .. ومقام الطائف ، والعاكف .. من دخله كان آمنا .. فى جنباته الطهر والنقاء .. وعلى أبوابه البذل والعطاء .. وبين أركانه الجود والسخاء .. فالأجر مضاعف .. والجزاء موفور .. والذنب مغفور .. والسعى مشكور .. عند رب لا تغلق رحابه .. ولا تسد أبوابه .. لا يخيب سائلا .. ولا يرد طالبا .. فهو الحليم الذى لا يعجل .. والكريم الذى لا يبخل .. وفى ميدان هذا البيت يتجلى الدين فى أروع صورة وأبدع مظهر .. جموع تطوف وتطوف .. وفئات تصعد وتنحدر بين الصفا والمروة .. فمن خلال الطواف نتعلم النظام ، ونتدرب على التعاون وانكار الذات ، ونتلقى دروسا عملية فى الآداب ، والمروءة ، والحب . والعطف والحنان ، ونؤمن بأن التوجيه الدينى أسمى من أى توجيه ، فأى توجيه تكون له مثل هذه الفعالية .. ان الجيوش تحتاج الى ربط واحكام ، وضبط ودقة .. بعد تدريب متواصل .. واشراف حازم .. الا أننا نرى الحجيج — على كثرتهم واختلاف أجناسهم وتباين لغاتهم — يسيرون فى اتجاه واحد .. وارتباط وتآزر ، ووحدة وتكاتف .. ووسط التلبية الهادرة ، والأصوات العالية .. اذا أذن المؤذن سمعوا الأذان .. ولبوا النداء .. فاذا بالجميع وقوف وكأن على رؤوسهم الطير .. لا تسمع حينئذ الا همسا .. ولا تحس الا أنفاسا ، ولا ترى الا أجساما منظومة ، وأقداما مصفوفة .. اذا ركع امامهم ركعوا ، واذا ماسجد سجدوا ، واذا قرأ أنصتوا ، واذا دعا أمنوا .. انها صورة من صور الجمال .. من الحسن والجلال .. ومشهد من مشاهد الكمال .. ولتأت الدنيا .. الدنيا كلها لتطل على هذا المنظر البديع المتناسق .. وليشهد الوجود كل الوجود . بأن الاسلام هو دين النظام .. ودين التضامن .. ودين الألفة .. ودين الحياة ..

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » ..

نعم يا ابراهيم .. أذن .. أذن .. أذن .. فالدنيا تسمعك .. والكون يصغى اليك .. والجود يلبى .. فنداؤك عبر الزمان .. ينشر على الارض السلام .. ودعاؤك يبعث فى الآفاق رونق الحياة .. وعجبت يا ابراهيم عندما قال لك ربك اذن يا ابراهيم .. فقلت وقتئذ وما يبلغ صوتى ؟ فقال لك مولاك .. يا ابراهيم عليك الأذان .. وعلينا البلاغ .. فناديت فى الأجواء والآفاق .. يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فحجوا .. فلبى نداك أهل الأرض وأهل السماء .. حتى النطف فى أصلاب الرجال .. والأجنة فى أرحام الامهات ..

السعى بين الصفا والمروة : —

ومن خلال السعى بين الصفا والمروة يستشعر الحجاج معنى التضحية والجهد .. هذا الجهد الذى قاسته السيدة هاجر من أجل شربة

ماء تروى غلة طفل رضيع أنهكه الجوع وأرهقه الظمأ .. امرأة وحيـدة وسط الجبال الشاهقة .. وبطون الوديان السحيقة تهرول هنا وهناك .. فى صعود وانحدار .. وحيرة واضطراب .. يمزق أحشاءها أنين ولـد عليل .. جف ريقه .. وجمد لسانه اللاهث من شدة العطش .. فـاذا ما اشتد الخطب .. وادلهم الأمـر .. تجلت رحمة الله كـالنور بعد الظلمة .. كالأمل الباسم وسط اليأس الحالك .. فتفجر الماء سلسا .. وانساب عذبا دافقا انه بئر زمزم .. زمزم الميمون .. زمزم المبارك .. النبع الطاهر .. الرحيق الحلو .. الدواء الشافى .. ليعرف الناس أن الله تعالى لا ينسى مخلوقاته .. وأن الفرج بعد الضيق .. وأن مع العسر يسرا .. « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قـد جعل الله لكـل شيء قـدرا » ..

الوقوف بعرفـات : ـــ

وفى الموكب الالهى .. وفى الركب الروحـانى .. وفى مسيرة الايمان .. يتوجه الحجاج بين الزحام المتكاثف .. وسـط الجمـوع الصاخبة .. وخلال الكتل الزاحفة قاصـدين عرفات .. متجـردين من ملابسهم اللهم الا من إزار ورداء أبيضين يتساوى فيهما الغنى ذو المـال الوافر والجاه العريض .. بالفقير والمسكين ليتذكروا جميعا ذلك الكفن الذى يلفهم عند وداعهم الأخير .. وكما قال عيسى عليه السلام « يا أيها الناس لقد جئتم الى الدنيا وأنتم عراة وستخرجون منها وأنتم عراة » .

ان هذا الزحام المائج يذكرهم كذلك بيوم الحشر وما فيه .. يـوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سـليم .. فى عرفـات تذوب الطبقية .. وتتلاشى التفرقة .. وتتجسد المساواة الحقة .. المساواة الصادقة .. المساواة الخالية من كل تكلف أو خداع .. المساواة التى فقدت فى العالم المتحضر .. وضاعت فى دنيا المدنية الزائفة ..

عند الصعود الى عرفات .. يتسابق الحجـاج ويتنافسـون .. يتسـابقون الى ربهم .. ويتنافسـون فى كسب رضاه .. للـه درك يا عرفات .. فيك ينسى المؤمن الدنيا وما فيها من متاع .. ويهجر الحياة بما تحويه من ترف وملذات .. لا يهمه لفح الهجير .. أو وهج الشمس .. ولا يمنعه شدة برد .. أو هطول مطر .. لأنه خرج من نطاق البشرية الى رحاب الروحانية .. لأنه انسلخ من المادية الى عالم المعنويات .. لأنـه تجرد من ترابيته ليصعد الى الملأ الأعلى .. الملائكة .. وينتظم فـى صفوف الأبرار .. أى سحر فيك يا عرفات ؟؟ ان البصر لا يقع عليك الا ويرى عابدا يتبتل .. ومذنبا يتوجع .. ومؤمنا يخشع .. ومصليا يركع .. وعاصيا ذا عين تدمع .. فكأنى بك بحيرة قدسية تغسل الآثام .. وتمسح الخطايا .. وتمحو السيئات .. يومك يوم نور .. ويوم رحمة .. يـوم بركة .. ويوم عطاء .. يوم يباهى به الله ملائكة السـماء .. فتبتسم الآفاق .. وتشرق الأكوان .. ويعم الغفران . .فينتحر الشيطان ..

كأنى بالحجاج يسألون عرفات عن هذه الأمجاد التى اعتلت ذروته ..

وتلك الكتائب الأولى التى عاشت على سطحه فترة من الزمن .. وكأنى بالجبل الرحيب يقول : كانوا أبطالا أفذاذا جنودا بواسل .. كانوا أنقياء أطهارا .. صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا تعرفهم بسيماهم من أثر السجود .. فرضى الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز المبين ..

كأنى بالجبل الأشم يذكرنا بالقائد الأعظم .. بالزعيم الأكبر .. بالمرشد الملهم .. محمد بن عبد الله وهو يلقى أسمى خطاب فى الوجود .. وأخلد حديث على صفحات الزمان .. وأظهر دستور عرفه التاريخ فى حجة الوداع .. يرسم للبشرية طريق خلاصها .. وسبيل مجدها .. ودروب سعادتها .. وسكب فى أذن الدنيا أصدق قانون .. فيه صلاح المجتمع .. وتقويم للخلق أجمعين .. صان فيه حقوق الناس .. وكرامة الأنسان « اليوم أكملت دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

زيارة الحبيب : —

زيارة تختلف عن كل زيارة .. زيارة فيها السعادة والهناء .. زيارة فيها الصدق والوفاء .. زيارة فيها الفوز والفلاح .. لأنها نزهة القلب .. لأنها فرحة الفؤاد .. لأنها فسحة الروح .. لأنها متعة الخاطر .. لأنها فرصة الحياة .. زيارة فواحة بالعطر شذية العبير .. دافعة بالطهر .. وهاجة بالنور .. فياضة بالأمل الوضاء .

انها زيارة محمد عليه السلام أفضل العابدين .. درة الخاشعين .. سيد المرسلين .. انه أعظم مخلوق فى الوجود .. انه تاج الشرف على رؤوس البشر .. انه وشاح الحق على كتف الزمن .

وعبر هذه الزيارة الخاشعة .. تنهمر الدموع .. ويشتد النحيب .. وينتفض الوجدان .. فالكل أتى يدفعه شوق جارف وحنين عارم .. وشغف متحفز .. لزيارة رائد الانسانية ، ومعلم البشرية .. وباعث المحبة .. ليكحل العين برؤياه .. ويضمخ النفس بلقياه .. متنسما ريح الجنة .. وأريج الفردوس .. فى صمت وخشوع .. ورهبة ورغبة .. وروعة وجلال .. فهنا مهابط الوحى .. ومنابع الطهر .. ومنزل الرحمة .. وشاطىء الأمان .. ومشرق الحضارة .. ومحراب القداسة .. ومن خلال تلك الرحاب .. يتفجر الايمان .. وينطلق اليقين .. وينبثق الدين .. وتذوب النفس فى كؤوس الصفاء .. فيبدو الحاج وقتئذ مجلوا بنور الله .. وضاء بشعاع التقوى .. ومزودا بخير زاد ، مغتسلا من الخطايا والآثام .. متوجا بتاج العز والكرامة .. عليه فيض من رضى .. وغمرة من حنان .. ولمسة من رحمة .. وهكذا يعود الحجاج من رحلتهم الميمونة ، ودراستهم المباركة ، الى بلادهم فى تألق واشراق ، ونقاء وانطلاق ، يمنحون الحياة الخير والرجاء ، وينشرون البر والسلام ؟



للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

مولـــده ونسبه :

قال الحـــافظ أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب « ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة . وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : « إنه ولد بعد الفجار الاعظم بأربع سنين ، وذلك قبل المبعث النبوى بثلاثين سنة ، ورواية ابن عبد البر أوضح وعليها يكون النبى صلى الله عليه وسلم أسن من عمر بن الخطاب بثلاث عشرة سنة » .

فأما نسبه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى القرشى أبو حفص وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية . قاله الحافظان ابن عبد البر وابن حجر وقال ابن هشام : « وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة وعلى هذا تكون أمه أخت أبى جهل بن هشام بن المغيرة » . .

وقال أبو عمر بن عبد البر : « وقالت طائفة فى أم عمر : حنتمة بنت هشام بن المغيرة ومن قال ذلك فقد أخطأ . ولو كانت كذلك لكانت أخت أبى جهل بن هشام بن المغيرة وليس كذلك وانما هى ابنة عمه . فان هاشم بن المغيرة وهشام بن المغيرة أخوان . فهاشم والد حنتمة أم عمر وهشام والد الحارث وأبى جهل . وهاشم بن المغيرة هذا جد عمر لأمه كان يقال له ذو الرمحين » .

صفته الخلقية :

قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : « وأخرج ابن أبى الـــدنيا بسند صحيح عن أبى رجـــاء العطاردى قال : كان عمر طويلا جسيما أصلع أشعر شديد الحمرة كثير السبلة فى أطرافها صهوبة وفى عارضيه خفة » . .

وروى يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسند جيد الى زر بن حبيش قال رأيت عمر أعسر أصلع آدم قد فرع الناس كأنه على دابة قال فذكرت هذه القصة لبعض ولد عمر فقال سمعنا أشياخنا يذكرون أن عمر كان أبيض فلما كان عام الرمادة وهى سنة المجاعة ترك أكل اللحم والسمن وأدمن أكـــل الزيت حتى تغير لونه وكان قد أحمر فشحب لونه .

وروى الدينورى فى المجالسة عن الأصمعى عن شعبة عن سماك كان

عمر أروح كأنه راكب والناس يمشون والاروح الذى — يتدانى عقباه اذا مشى .

وأخرج سعد بسند فيه الواقدى كان عمر يأخذ أذنه اليسرى بيده اليمنى ويجمع جراميزه ويثب على فرسه فكأنما خـلق على ظهره » .

وقال الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب « وكان آدم شديد الادمة طوالا كث اللحية أعسر أيسر يخضب بالحناء والكتم .

نكتفى بهذا القدر من صفة خلقه بفتح الخاء وفيها ألفاظ تحتاج الى توضيح ليعم النفع القراء كلهم قويهم وضعيفهم .

الفجـــار : قال فى اللسان : « قال الجوهرى الفجـــار يـــوم من أيام العرب وهى أربعة أفجرة ، كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان فى الجاهلية وكانت الدبرة على قيس وانما سمت قريش هذه الحرب فجارا لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا فسميت فجارا .

والصهوبة : حمرة شعر الرأس واللحية .

والأعسر : هو الذى يشتغل بيده اليسرى والأعسر اليسر هو الذى يشتغل بيديه جميعا . وقد روى أن عمر كان كذلك .

والأدمة : الحمرة وهى حمرة ناشئة عن بياض لأنه جاء فى وصف عمر أنه كان أبيض وقوله فرع الناس : أى كان أطول منهم ، وقوله كأنه على دابة : أى اذا مشى مع القوم فكأنه راكب لطـــول قامته .

شحب لونه : شحب اللون ككرم ، وشحب كمنع تغير لونه من هزال أو عمل أو جوع أو سفر .

وهذا من مناقب عمر التى لا يتصف بها الا خليفة نبى لان المجاعـــة فى العادة لا تصيب الا عامة الناس ، أما الرؤساء فلا يجوعون وعمر رضى الله عنه فضل الجوع وترك الطيبات من الطعام عند قلته إيثارا للعامة على نفسه . رحمه الله ورضى عنه فويل لمن يتنقصه من المبتدعين الضالين .

قوله سعد : لعل الصواب ابن سعد .

وجراميزه : ثيابه ويدل ذلك على أن عمر كان رياضيا ، قوى الجسم لأن ركوب الخيل بالصفة المذكورة لا يتأتى الا لقليل من مهرة الرياضيين . وفى ذلك دليل على أن المسلم ينبغى له أن يكون قوى البدن مرتاضا . قال الله تعالى فى سورة البقرة فى قصة طالوت حين قال بنو اسرائيل لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله فاخبرهم أن الله سبحانه بعث لهم طالوت ملكا . فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . فظنوا لجهلهم أن الملك خاص بالأغنياء فرد عليهم نبيهم بقوله : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكـــه من يشاء والله واسع عليم » .

فالملك لا يكون أهلا للملك بسبب ثروته وكثرة ماله ، ولـــكن لقـــوة جسمه وعلمه وتقواه . فان مال الدولة يكون بيـــده وهو الـــذى يقسمه طبقا لما أمر الله به أن يقسم فما حاجته الى المال . وهكذا قال العـــرب أهل مكة : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » « سورة الزخرف » فرد الله عليهم بقوله « أهم يقسمون رحمة ربك » فظنوا لجهلهم أن النبوة لما كانت الرئاسة ملازمة لها لا تكـــون الا لمن كان غنيا كثير المال

وقوة الجسم ، والرياضة البدنية من السنة التى اتصف بها الأنبياء ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحظ الأوفر من ذلك فقد ثبت فى صحيح البخارى أنه سابق عائشة أم المؤمنين فسبقته فلما ثقل جسمها باللحم سابقها مرة أخرى فسبقها وقال لها هذه بتلك .

وقوله : **يخضب بالحناء والكتم** : ذكر الحافظ فى الفتح عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بهما وقد جاء مثل ذلك عن النبى . وقلت فى ذلك شعرا .

إنى لأخضب بالحناء والكتم ... أقفو بذلك خير العرب والعجم

محمدا وأناسا من صحابته ... كانوا مصابيح تجلو داجى الظلم

والكتم : يسمى بالعامية العراقية « الوسمة » وهو نبات شديد الخضرة وصفة الخضاب بها أن يخضب الرأس أو اللحية أو هما معا بالحناء ويبقى ثلاث ساعات ثم يغسل الشعر غسلا جيدا ويخضب بالكتم وبعد ساعة يغسل الشعر فيصير أسود ..

صفته الخلقية :

قال الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ « أبو حفص العدوى الفاروق وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أيد الله به الاسلام وفتح به الأمصار وهو الصادق المحدث الملهم الذى جاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو كان بعدى نبى لكان عمر » الذى فر منه الشيطان وأعلى به الايمان وأعلن الأذان .

قال نافع بن أبى نعيم عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه .. وأين مثل أبى حفص فما دار الفلك على مثل شكل عمر هو الذى سن للمحدثين التثبت » انتهى .

وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب ما نصه :

قال الزبير وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أشراف قريش واليه كانت السفارة فى الجاهلية ، وذلك أن قريشا كانت إذا وقعت بينهم حرب ، أو بينهم وبين غيرهم بعثوا سفيرا وان نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر رضوا به ولقبوه منافرا أو مفاخرا .

اسلامه :

قال ابن اسحاق وكان اسلام عمر ــ فيما بلغنى ــ أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهما مستخفيان باسلامهما خوفا من عمر وكان نعيم ابن عبد اله النحام رجل من قومه من بنى عدى بن كعب قد أسلم وكان أيضا يستخفى باسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الأرت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن . فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم فيمن أقام

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الارض وقد قتلت محمدا . أفلا ترجع الى أهل بيتك ، فتقيم أمرهم قال : وأى أهل بيتى ؟ قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه . فعليك بهما قال فرجع عمر عامدا الى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها (سورة طه) يقرئهما اياها . فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم ، أو فى بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهيمنة التى سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئا ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد . فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك . . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ماصنع فارعوى وقال لأخته أعطنى هذه‌الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا ، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها . قال لها لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها . فلما قال طمعت فى اسلامه وأعطته الصحيفة وفيها « طه » فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما أحسن هذا الكلام ، فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له : يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس وهو يقول : « اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر » فقال له عند ذلك عمر : فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم . فقال له خباب هو فى بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف . فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له . فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة فأخذ حجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه به جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة . فقال عمر : يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم . فتفرق — أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا فى

انفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم .

وذكر ابن هشام عن ابن اسحاق فى سبب اسلام عمر قصة أخرى اختصرها فيما يلى :

قال عمر : كنت أحب الخمر وأشربها فى الجاهلية . وكان لى رفقاء ينادموننى على شرب الخمر وكان لنا مجلس معلوم نجلس فيه كل ليلة نشرب الخمر فذهبت ليلة الى المجلس فلم أجد منهم أحدا فقصدت حانة لخمار مكة لأشرب فلم أجده فقصدت الكعبة لأطوف بها سبعا أو سبعين فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين الركنين ركن الحجر الاسود والركن اليمانى — مستقبلا الشام جاعلا البيت بينه وبين قبلته فأردت أن أستمع لقراءته دون أن يعلم بمكانى فجئت الكعبة من قبل الحجر فدخلت تحت كسوتها وأخذت أمشى بين جدارها وثوبها حتى قمت فى قبلته مستقبلا له وهو لا يرانى ولا يعلم بوجودى .

فلما سمعت القرآن رق قلبى له حتى بكيت فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته انصرف الى بيته فتبعته حتى أدركته فى الطريق فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى فظن انى تبعته لأوذيه ، فنهمنى (أى زجرنى) ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ فقلت جئت لأومن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ومسح صدرى ودعالى بالثبات .

واذا أردنا أن نجمع بين القصتين نقول : إن القصة الأولى سابقة للثانية وأن عمر حين قرأ الصحيفة فى بيت أخته مال قلبه الى الاسلام ولكن أراد أن يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فاحتال لذلك حتى سمعه منه فازداد يقينا وأسلم فى تلك الليلة ثم قصد بعد ذلك دار الأرقم التى عند الصفا وأعلن اسلامه .

ويؤيد ذلك ما روى ابن اسحاق فى السيرة « عن أم عبد الله بن عامر ابن ربيعة بنت أبى حثمة . قالت : والله إنا لنرحل الى أرض الحبشة وقد ذهب عامر أى زوجها فى بعض حاجاتنا اذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وهو على شركه : قالت : وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا . قالت فقال : انه للانطلاق يا أم عبد الله . قالت فقلت نعم والله . لنخرجن فى أرض الله آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا . قالت : فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها . ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا . قالت فجاء عامر بحاجته تلك . فقلت له : يا أبا عبد الله : لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا . قال : أطمعت فى اسلامه قالت : نعم . قال فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على أهل الاسلام » . .

ومن ذلك يظهر لنا أن اسلام عمر لم يكن فجأة فانه من المستبعد فى طباع البشر أن يكون الرجل على دين متعصبا له أشد التعصب ويرى دينا جديدا فيحاربه أشد المحاربة ثم ينتقل من الدين الاول الى الثانى فجأة بدون أن يتقدم انتقاله فترة تردد وتأمل . وهذا مشاهد معروف عند من خبر أحوال المنتقلين من دين الى دين .

ومما يناسب ذلك أنى كنت فى برلين الغربية سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى فقصدت الجامع لصلاة الجمعة وهو فى

القسم الغربى ، وكنت أعرفه وأصلى فيه حين كنت طالبا ومدرسا هناك من سنة تسع وثلاثين الى سنة اثنتين وأربعين بالتاريخ المذكور فلما رآنى الامام دعانى لأصلى بهم الجمعة وبعد الفراغ من الصلاة قام وخطبهم هو باللغة الجرمانية ثم أخذنا نتجاذب أطراف الاحاديث فرأيت رجلا حسن الاصغاء لكل حديث يدور حسن السمت تظهر عليه الرغبة فى الازدياد من علوم الاسلام ويكثر الاسئلة فقلت له يا أخى تسمح لى أن أسألك منذ كم سنة أسلمت ؟ فقال لى لم أسلم بعد ! فقلت ولماذا جئت الى هنا وحضرت الصلاة ؟ فقال حضرت الصلاة ولم أصل !! ولكن استمعت الى الخطبة التى ألقيت باللغة الجرمانية فقلت هل زرت المسجد قبل هذه المرة ؟ فقال لى منذ سنة لم تفتنى ولا جمعة واحدة ومسكنى بعيد من المسجد أركب ساعة فى القطار لأصل إليه فقلت له : والى الآن ما تبين لك أن الاسلام حق ؟ فقال لى : أريد أن أزداد يقينا حتى يكون اسلامى مبنيا على أساس متين فان قلت : هذا الالمانى بقى سنة يدرس الاسلام وعمر فيما ذكرت لم يبق الا مدة قصيرة فهل كان الالمانى أكثر تثبتا منه ؟ فالجواب ان بين الالمانى وعمر فرقا شاسعا لأن الالمانى لا يعرف لسان القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ولا يستطيع أن يقرأ القرآن أو يسمعه فيفهمه وانما يعتمد على ترجمة المترجمين ومن الفروق أن عمر يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صباه ويعرف صدقه وأخلاقه ويعرف من آمن به قبله وهم أربعون رجلا واحدى عشرة امرأة وكيف ثبتوا على دينهم واستعذبوا العذاب فيه ، وصبروا على مفارقة الوطن بل كان عمر يشاهد نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحجب الا عن شقى .

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر بسند ذكره من طريق ابن معين عن هلال بن يساف قال :

« أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أربعين رجلا واحدى عشرة امرأة قال أبو عمر فكان اسلامه عزا ظهر به الاسلام بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم » ..

وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة بسند ذكره عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : « اللهم أعز الاسلام بأبى جهل ابن هشام أو بعمر بن الخطاب » فأصبح عمر فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج أبو يعلى وذكر سنده الى ابن عمر قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام وكان أحبهما الى الله عمر بن الخطاب » ..

وأحب هنا أفعل تفضيل من حب بضم الحاء مبنيا لما لم يسم فاعله وقد منعه ابن مالك ولكنه كثير من كلام العرب ، وهو من جريان أفعل التفضيل على غير بابه فأحب هنا بمعنى محبوب لأن أحدهما وهو أبو جهل لا يشارك الآخر فى محبة الله حتى يفضل عليه فهو كقولهم الأشج والناقص أعدلا ملوك بنى مروان — أى عادلا ملوك بنى مروان اذ لا عادل فيهم غيرهما .

ثم ذكر الحافظ روايات متعددة لهذا الحديث عن جماعة من الصحابة تختلف ألفاظها ويتفق معناها .

بعض مناقبـــه :

١ ــ منها ما تقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا أن يعز الله الاسلام ويشده برجل يحبه الله تعالى فكان ذلك الرجل فثبتت له محبة الله تعالى ..

٢ ــ ومنها ما رواه البخارى فى صحيحه فى باب مناقب عمر بسنده الى جابر بن عبد الله قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيتنى دخلت الجنة فاذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا ؟ فقال هذا بلال ورأيت قصرا بفنائه جارية فقلت لمن هذا ؟ قال لعمر فأردت أن أدخله فأنظر اليه فذكرت غيرتك فقال : عمر بأبى وأمى يا رسول الله أعليك أغار » ؟ انتهى .

والخشفة بفتح أوله وثانيه أى حركة وقع الاقدام ، وفى رواية أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى الى جانب قصر عمر امرأة تتوضأ والباقى مثل ما تقدم وفيها زيادة أن عمر حين سمع ذلك بكى وقال أعليك أغار يا رسول الله » .

٣ ــ ومنها ما أخرجه البخارى بسنده الى حمزة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم شربت يعنى اللبن حتى أنظر الى الرى يجرى فى ظفرى أو فى أظفارى ثم ناولت عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال : العلم » .

فهذه شهادة من النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بالعلم النافع الذى أخذه عنه عليه الصلاة والسلام .

٤ ــ ومنها ما أخرجه البخارى فى مناقبه عن عبد الله بن عمـــر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة على قليب ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعـــا ضعيفا والله يغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا ، فلم أر عبقريا يفرى فريه حتى روى الناس وضربوا بعطـــن ..

قال ابن جبير العبقرى عتاق الزرابى ، وقال يحيى : الـــزرابى : الطنافس لها خمل رقيق مبثوثة كثيرة .

شرح بعض ما يعسر فهمه على بعض القراء من هذا الحديث .

على دلو بكرة : البكر بفتح الباء والكاف : خشبة مستديرة يعلق عليها الدلو لتسهيل نزعه من البئر ــ والقليب البئر . الذنوب الدلو الممتلئة ماء الغرب . الدلو العظيمة تتخذ من جلد ثور يعنى أن عمر لما أخذ الدلو عظمت فى يده وكبرت وذلك اشارة الى كثرة الفتوحات التى أجراهـــا الله على يديه واتساع حوزة الاسلام ، ولم يقع مثل ذلك فى خلافة أبى بكر الصديق ، ولكن له مناقب أخرى كثيرة لا يشاركه فيها عمر .

والعبقرى : قال أبو عمر : وعبقرى القوم سيدهم وقيمهم وكبيرهم .

حتى روى الناس وضربوا العطن . قال فى اللسان العطن للابل كالوطن للناس ، يعنى حتى رويت الابل وبركت بمعاطنها ، كناية عما تقدم من كثرة الفتوحات والارزاق ، وانتشار العدالة والامن ، ورغـــد العيش وصلاح الاحوال .

٥ ــ وأخرج البخارى عن سعد بن أبى وقاص قال استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش

يكلمنه ويستكثرن عالية أصواتهن على صوته — فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، فقال أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم . « عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب » قال عمر : « فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله » ثم قال عمر « يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله » فقلن : نعم أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إيه يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك » .

قولهن « أنت أفظ وأغلظ » جرى أفعل التفضيل أيضا على غير بابه ، فان النبى صلى الله عليه وسلم ليس عنده شىء من الفظاظة ولا من الغلظة حتى يشارك عمر فيهما ويكون عمر أشد منه فى ذلك ، قال الله تعالى « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » معناه برحمة الله وفضله لنت يا محمد لاصحابك فأحبوك ولو كنت فظا غليظ القلب لتفرقوا عنك ..

قال الجمل فى حاشيته على الجلالين : الفظاظة الجفوة فى المعاشرة قولا وفعلا ، والغلظة التكبر ثم تجوز فيه عن عدم الشفقة وكثرة القسوة فى القلب —

٦ — ومنها أن الله أعز به المسلمين ، فأخرج البخارى بسنده عن عبد الله يعنى ابن مسعود قال عبد الله ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر —

٧ — منها ثناء على رضى الله عنه على عمر ، أخرج البخارى عن ابن أبى مليكة ، أنه سمع ابن عباس يقول : وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع ، وأنا فيهم فلم يرعنى الا رجل أخذ منكبى فاذا على بن أبى طالب فترحم على عمر وقال : « ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى بمثل عمله منك ، وايم الله ان كنت لأظن ، أن يجعلك مع صاحبيك وحسبت أنى كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر »

٨ — ومنها بشارة النبى صلى الله عليه وسلم بالشهادة أخرج البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : صعد النبى صلى الله عليه وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال : « أثبت فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيدان » .

٩ — منقبة التحديث والتكليم . ومنها ما أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فيما قبلكم من الامم ناس محدثون فان يكن من أمتى أحد فانه عمر » ، زاد زكرياء بن زائدة عن سعد عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فى من كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فان يكن فى أمتى منهم أحد فعمر » ..

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح . والسبب فى تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الموافقات التى نزل

القرآن مطابقا لها ، ووقع له بعد النبى صلى الله عليه وسلم عدة اصابات .

١٠ ــ شهادة النبى صلى الله عليه وسلم بقوة ايمان عمر ، ومنها ما أخرجه البخارى بسنده فى صحيحه عن سعيد بن المسيب ، وأبى سلمة ابن عبد الرحمن ، قالا سمعنا أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما راع فى غنمه عدا الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها فالتفت اليه الذئب فقال له : « من لها يوم السبع ليس لها راع غيرى ، فقال الناس سبحان الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم فانى أومن به وأبو بكر وعمر وما ثم أبو بكر وعمر » انتهى ، يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم بالايمان أخبر لهذا الامر المغيب . .

١١ ــ كمال دين عمر :

وأخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدى ، ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر وعليه قميص اجتره » قالوا فما أولته يا رسول الله قال : الدين .

١٢ ــ بشارة النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بالجنة :

أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى موسى رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط من حيطان المــدينة فجاء رجل فاستفتح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فاذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله ، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبى صلى الله عليه وسلم : افتح له (وبشره بالجنة) ففتحت له فاذا هو عمر فأخبرته بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فحمد الله . ثم استفتح رجل فقال لى : افتح له وبشره الجنة على بلوى تصيبه فاذا عثمان ، فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال : الله المستعان .

١٣ ــ ومنها قولــه « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » أخرجه الترمذى وأحمد وصححه الحاكم .

وهذا الحديث يدل على فضل عمر رضى الله عنه وتوفيق الله له لاصابة الحق ، وكذلك حديث التحديث والتكليم ، وأحاديث أخرى فى هذا الباب ولا يدل شىء من ذلك على أنه معصوم من الخطــأ فلا عصمة الا للانبياء .

وأقتصر على هذا القدر من مناقب هذا الامام رضى الله عنه فانها لا تحصى الا بكلفة ولا يتسع لها المقام .

خلافتــــه :

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب :

وولى الخلافة بعد أبى بكر بويع له يوم مات أبو بكر رضى الله عنه باستخلافه له سنة ثلاث عشرة فسار بأحسن سيرة ، وأنزل نفسه من مال الله بمنزلة رجل من الناس ، وفتح الله الفتوح بالشام والعراق ومصر ، ودون الدواوين فى العطاء ، ورتب الناس فيه على سوابقهم وكــان لا يخاف فى الله لومة لائم ، وأرخ التاريخ من الهجــرة الذى بأيدى الناس اليوم ،

وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين لقصة نذكرها هنا ان شاء اللـــه تعالى ، وهو أول من اتخذ الدرة وكان نقش خاتمه « كفى بالموت واعظا يا عمر »

ثم قال أبو عمر « وأما القصة التى ذكرت فى تسمية عمر نفسه بأمير المؤمنين ، فذكر الزبير قال قال عمر : لما ولى كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقال ، خليفة خليفة يطول هذا ، قال فقال له المغيرة بن شعبة « أنت أمير المؤمنين ونحن المؤمنون فأنت أمير المؤمنين ـــ قال : فذاك اذن .

استشهاد عمر وسبب قتلـــه :

سبب قتله : المحافظـــة على اقامة العدل بين الناس .

قال ابن عبد البر عن الواقدى بسنده الى الزبير بن العـــوام قال : غدوت مع عمر رضى الله عنه الى السوق وهو متكىء على يـــدى فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، ألا تكلم مولاى يضع عنى من خراجى ، قال : كم خراجك قال دينار ، قال ما أرى أن أفعل انك عامل محسن ، وما هذا بكثير ثم قال له عمر: ألا تعمل لى رحى ، قال : بلى ، فلما ولى قال أبو لؤلؤة لأعملن لك رحى يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب ، قال فوقع فى نفسى قوله قال فلما كان فى النداء لصلاح الصبـــح خرج عمـــر الى الناس يؤذنهم للصلاة قال ابن الزبير (راوى هذا الخبر عن أبيه) وأنا فى مصلاى وقد اضطجع له عدو الله أبو لؤلؤة فضربه بالسكين ست طعنات احداها من تحت سرته هى قتلته ـــ فصاح عمر أين عبد الرحمن بن عوف فقالوا هوذا يا أمير المؤمنين فقال تقدم فصل بالناس ، فتقـــدم عبد الرحمن فصلى بالناس وقرأ فى الركعتين قل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون ، واحتملوا عمر فأدخلوه منزله فقال لابنه عبد الله اخرج فانظر من قتلنى ، قال فخرج عبد الله بن عمر فقال من قتل أمير المؤمنين فقالوا أبو لولؤة غلام المغيرة بنشعبة فرجع فأخبر فقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلى بيد رجل يحاجنى بلا الـــه الا اللــــه .

وقد روى أبو عمر وغيره فى قصة استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخبارا كثيرة بأسانيدها وهى لا تخرج عن معنى ما تقـــدم ..

تثبته فى رواية الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم

كان عمر رضى الله عنه متثبتا فى رواية الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمع أحدا يروى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم من أصحاب رسول الله يتردد فى قبوله منه حتى يتيقن وهذا مشهور عنه فمن ذلك ما ذكره الحافظ الذهبى فى التذكرة ، وهو مروى فى كتب الحديث ان أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن ، فرجع فأرسل عمر فى اثره فقال لم رجعت ؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع قال : لتأتينى على ذلك ببينة أو لأفعلن بـــك ، فجاءنا أبو موسى منتقعا لونه ونحن جلوس ، فقلنا ما شأنك فأخبرنا وقال : هل سمع أحد منكم فقلنا نعم كلنا سمعه فأرسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فأخبره . أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبى موسى يقول صاحب آخر ففى هذا دليل على أن

الخبر اذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد .
ولا يلزم من كلام الذهبى رحمه الله أن يكون الخبر الواحد ليس بحجة أو أنه لا يفيد العلم ، وان كان أكثر العلماء من المتأخرين يقولون إن الخبر الواحد يفيد الظن فقط ، ولا يفيد العلم الا خبر التواتر ، قال المحققون ان خبر الواحد قد يحتف به من القرائن ما يجعله يفيد العلم ، وقد عقد البخارى رحمه الله لذلك بابا فى صحيحه وأورد حججا كثيرة فليراجع —
ولا يفهم من تثبت عمر رضى الله عنه أنه كان لا يقول بأن خبر الواحد حجة فانه رضى الله عنه هو نفسه حدث بأحاديث كثيرة انفرد بها وقبل خبر الواحد وجعل حجة حين كان يفتى بأن من أجنب ولم يجد ماء الا يتيمم بل يترك الصلاة حتى يجد الماء فجاءه عمار بن ياسر وذكر أنه كان معه فى سرية فأجنبا جميعا فأما عمر فترك الصلاة ، وأما عمار فتمعك كما تتمعك الدابة فى الصعيد ، فلما رجعا أخبرا النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعمار : « إنما يكفيك أن تفعل هكذا » وضرب بيده الارض ضربة واحدة فمسح بها وجهه وظاهر كفيه صلى الله عليه وسلم فعند ذلك قال عمر لعمار أبصر ما تقول يا عمار ، فقال ان شئت لم أحدث به ، فقال لا بل نحملك ما تحملت والقصة مشهورة فى كتب الحديث . .

بعض مروياتــه :

لا يتسع المقام لذكر كثير من مرويات هذا الامام وهى سهلــة التناول فى كتب الحديث ، ولا سيما كتاب المسند للامام أحمد بن حنبل ، فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٣١٠) أحاديث ولكنى أردت أن أنتخب بعض مروياته لاختم بها هذا المقال تبركا ليكون ختامه مسكا وسأذكره بترتيب المحقق أحمد شاكر رحمه الله — ٨٩ — قال الامام أحمد بسنده عن معمر بن أبى طلحة اليعمرى إن عمر بن الخطــاب قام على المنبر يــوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال : رأيت رؤيا لا أراها الا لحضور أجلى ، رأيت كأن ديكا نقرنى نقرتين ، قال وذكر لى أنه ديك أحمر فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبى بكر فقالت : يقتلك رجل من العجم قال وان الناس يأمروننى أن استخلف وان الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته التى بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يعجل لى أمر فان الشورى فى هؤلاء الستة الذين مات نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فمن بايعه منهم فاسمعوا له وأطيعوا ، وانى أعلم أناسا سيطعنون فى هذا الامر أنا قاتلتهم بيدى هذه على الاسلام أولئك أعداء الله الكفار والضلال وايم الله ما أترك فيما عهد إلى ربى فاستخلفنى شيئا أهم الى من الكلالة وايم الله ما أغلظ الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فى شىء منــذ صحبته أشد مما أغلظ لى فى شأن الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى ، وقال تكفيك آية الصف التى نزلت فى آخر سورة النساء وانى ان أعش فسأقضى فيها بقضاء يعلمه من يقرأ ومن لا يقرأ وانى أشهد الله على أمراء الامصار ، وانى انما بعثتهم ليعلموا الناس ويبينوا لهم سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويرفعوا الى ما عمى عليهم ، ثم انكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أراهمــا الا خبيثتين هذا الثوم والبصل ، وايم الله لقد كنت أرى نبى الله صلى الله عليه وسلم يجد ريحهما من الرجل فيأمر به فيأخذه بيده فيخرج به من المسجد حتى يؤتى به البقيع ، فمن أكلهما لا بد فليمتهما طبخا ، قال فخطب الناس يوم

الجمعة وأصيب يوم الاربعاء ، رواه مسلم أيضاً .

٩ ــ قال الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر قال . خرجت أنا والزبير والمقداد بن الاسود الى أموالنا بخيبر نتعاهدها فلما قدمناها تفرقنا فى أموالنا ، قال فعدى على تحت الليل وأنا نائم على فراش ففدعت يداى من مرفقى فلما أصبحت استصرخ على صاحباى فأتيانى فسألانى عمن صنع هذا بك ، قلت لا أدرى قال فأصلحا من يدى ثم قدما بى على عمر فقال هذا عمل يهود ، ثم قام فى الناس خطيبا ، قال أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم اذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم من عدوتهم على الانصار قبله لا نشك أنهم أصحابهم ليس لنا هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليلحقه به فانى مخرج اليهود فأخرجهم .

قال الامام أحمد بسنده عن الحارث بن معاوية الكندى انه ركب الى عمر بن الخطاب يسأله عن ثلاث خلال : قال فقدم المدينة فسأله عمر ما أقدمك ؟ قال لاسألك عن ثلاث خلال قال وما هن ، قال ربما كنت أنا والمرأة فى بناء ضيق فتحضر الصلاة فان صليت أنا وهى كانت بحذائى ، وان صلت خلفى خرجت من البناء ؟ فقال عمر تستر بينك وبينها بثوب ثم تصلى بحذائك ان شئت ، وعن الركعتين بعد العصر ، فقال نهانى عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعن القصص ؟ فانهم أرادونى على القصص ؟ قال ما شئت كأنه كره أن يمنعه قال إنما أردت أن أنتهى الى قولك قال : أخشى عليك أن تقص فترتفع عليهم فى نفسك ثم تقص فترتفع حتى يخيل اليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك .

فى هذا الحديث فوائد أذكر بعضها :ــ

الاولى : علوهمة السلف وجدهم وصدقهم فى طلب العلم فان الحارث ابن معاوية سافر الى عمر ليسأله عن هذه المسائل الثلاث وكان فى امكانه أن يكتب اليه أو أن يكلف أحد المسافرين أن يسأله ويأتيه الجواب .

الثانية : فقه عمر رضى الله عنه اذ أفتاه أن يجعل ثوبا يحول بينه وبين المرأة وتصلى الى جانبه فكأنه فهم أن الحكمة فى تأخر الزوجة اذا اقتدت بزوجها منع الملامسة وما أشبهها من الاستمتاع كالنظر فأباح صلاتها الى جانبه للضرورة .

الثالثة : كان عمر رضى الله عنه شديدا على من يصلى ركعتين بعد العصر حتى انه تغيظ على على بن أبى طالب حين صلاهما والذى نختاره وندين الله به أن النافلة بعد العصر لا تجوز حتى تغرب الشمس سواء أكان لها سبب أم لا . .

الرابعة : اللغة وما أعظمها من فائدة وأجدرها بالاعتبار وهى القصص ومعنى القصص فى لغة ذلك الزمان الوعظ والتعليم فقد خاف عمر رضى الله عنه على سائله مع فضله وتقواه وورعه اذا انتصب للوعظ والارشاد أن يشعر بالتعاظم والكبر فيخسر خسرانا مبينا فنهاه عن ذلك . .

ومحل ذلك اذا كان هناك من العلماء من يقوم لهذا الواجب ولم يتعين عليه والا وجب عليه أن يستعين بالله تعالى على النفس الامارة ويعظ ويعلم ويرشد ولا يترك الوعظ خوفا من ذلك . .



اذا لم يكن فى الفكر القرآنى غير تلك الصورة المتكاملة التى تستوعب فى خطوطها وألوانها أبعاد الوجود الانسانى كله ، فقد كفاها برهانا على عظمة هذا الدين الذى من الله به علينا وجعل منه طريق الهداية والرشاد .

عندما يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة المائدة : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .)) فقد قصد بهذا القول الكريم الى تقرير واقع الصورة التى يستخرجها المتدبر لآيات الله وكلماته المنزلة ويكتشفها بكامل خطوطها وألوانها وفنون التعبير مرسومة فى دقة بالغة .

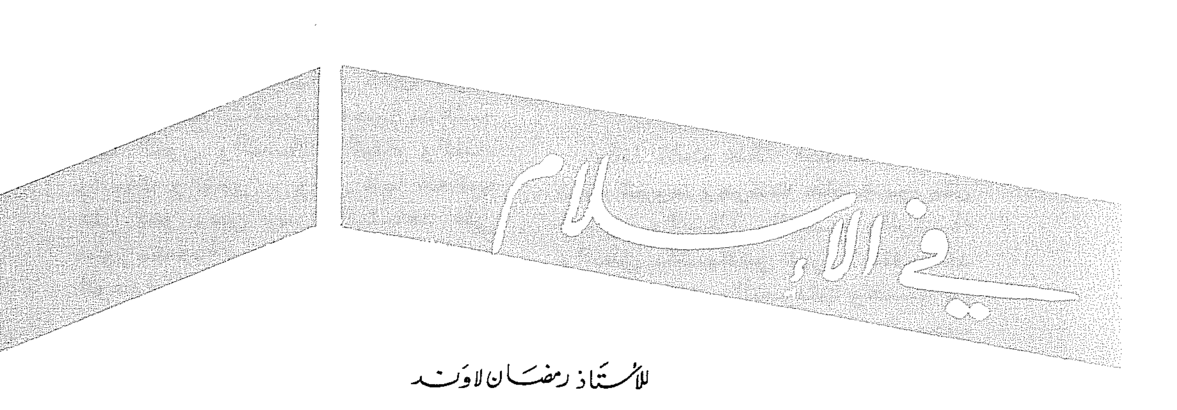
نعم أن القارىء المتدبر الذكى قادر بصورة من الصور على استيعاب الرؤية القرآنية التى هى بدورها حكاية دقيقة ومعجزة لواقع الانسان والكون وعلاقتهما بالخالق جل وعلا .

واذا كان هناك ما يغمض معناه على القارىء المؤمن فهو نابع من العجز فى الفهم والقصور فى التفكير والانفعالية فى الرؤية .

كيف تفهم القرآن ؟ :

والسبيل الى فهم القرآن لا تتحدد ابعادها كما لا تتعين اتجاهاتها الا حين يدرس كلام الله ككل لا كآيات منفصل بعضها عن بعض . فالقرآن لا يفهم الا بالقرآن كله . تماما كما هو الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى وأخضعه لسنن وقوانين دقيقة ثابتة لا تتغير .

وكما أن الاخطاء فى فهم الكون ناجمة من اقتطاع جزء منه دون الاجزاء الأخرى فان الأخطاء فى فهم القرآن الكريم ناجمة هى بدورها من الاقتصار على تدبر آية أو آيات معينة دون بقية كلمات الله .



للأستاذ رمضان لاوند

والجدير بالذكر أن هناك وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة والانفصام فى ذكر الله . أن كل سورة بل كل آية بل كل كلمة تتردد بها معانى معينة أو تتكرر بها بعض المعانى دون بعض هى أشياء فى صميم الرؤية الفكرية المتكاملة للقرآن الكريم .

فى ضوء هذه الحقيقة التى نقررها بمثابة مدخل لدراسة آيات الله نستطيع أن نقول : ان المعجزة القرآنية ليست فى ظاهرة معينة من التعبير بل هى فى الظاهرات كلها .. البيانية منها والفكرية والأخلاقية والتعبيرية بالاضافة الى ما يتقرر بها من فنون التكرار والالحاح فى معنى دون آخر وفى وجهة دون وجهة أخرى .

ان وحدة الوعى القرآنى هى صورة لوحدة الوجود الكونى كله وبالتالى انعكاس لوحدة الارادة الخالقة والسنة التى تعين بها مسيرة الخلق من بعد . وقد علمنا سبحانه وتعالى هذه الحقيقة حين قال لنا :

١ — فى الآية الثانية من سورة الفرقان : (ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا » .

٢ — فى الآية الحادية والعشرين من سورة الحجر : « وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » .

٤ — فى الآية التاسعة والاربعين من سورة القمر : « انا كل شىء خلقناه بقدر » .

٥ — فى الآية الثامنة عشرة من سورة المؤمنون : « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض » ..

حتى السيول التى تسيل بها الوديان تتجمع بقدر معين ، والظاهرة نفسها تتكرر فى وقائع الحياة والموت ،

والخراب والعمران ، والصحة والمرض ، وحركات الكواكب ،وتقلبات المناخ ، ومسيرة الرياح وغيرها من أجزاء الكون وأشياء الحياة ، كما تدخل فيها أيضا دقائق الانفعالات والافكار والعواطف .

هذه الوحدة ندركها من خلال آثارها وهى موضع لتناقضات عجيبة مدهشة فيها الكون والفساد والبقاء والفناء والثبات والتغير . وهى كلها تتعاقب على نحو معين وتبرز للمشاهد على صور متعددة من التغيرات خلا ظاهرة الوحدة فى الوجود التى لم تفسد أو تتفتت حتى اليوم وستبقى حتى يأتى أمر الله .

ولما كانت وحدة الخلق والتكوين تعنى وحدة التفكير والسلوك والتصرف فقد وجب أن تكون الوحدة فى الرؤية القرآنية على صورة الوحدة الشاملة فى الكون كله .

هكذا فطر الله السماوات والارض وما فيهن ، وهكذا يجب أن يكون الفكر القرآنى حكاية لهذه الفطرة وظاهرة من ظاهرات التعبير عن الحقيقة التى هى وحدها سبيلنا الى الله .

العبادات :

وكما أن كل ذريرة من ذريرات الجزئيات الدقيقة جانب ضرورى من جوانب الاستمرار فى هذه الجزئيات فان كل أمر أو نهى هو أيضا جانب ضرورى من جوانب التكامل فى الوحدة القرآنية .

يدخل فى ذلك بالطبع فنون العبادات وألوان المعاملات ، وكل أنواع السلوك والتصرف ، وينابيع التأمل والتدبر ، والعجز عن ادراك هذه الوحدة المعجزة أو المعجزة الموحدة فى القرآن الكريم لا يعنى انتفاءها وعدم وجودها بل يبدو لنا جافزا يحفزنا جميعا لاعادة النظر وتقليب وجوه الرأى والتأمل العميق فى أبعاد الفطرة حتى يأتى اليوم الذى تكتشف فيه تلك الوحدة القرآنية المعجزة .

الشمول فى العبادات :

واذا كانت هناك عبادات معينة ذات شروط وحركات خاصة من مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة والنطق بالشهادتين فهى لا تقف عند هذه الحركات والتصرفات وحسب بل تنتشر فى عالم الانسان كله وتنسحب على فنون فكره وعقله حتى يكون كل أمر ذى بال من أمور الانسان شيئا داخلا فى مفهوم هذه العبادة . أو ليس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال لأصحابه : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أجزم » ؟ أو ليست البسملة هنا أعلانا عن نوع من أنواع العبادة ؟ أو ليست تعبيرا عن ارادة الوحدة فى تقرير الارتباط الشامل والواعى بين الانسان وربه وبينهما والكون كله .

عبادة الحج :

فى ضوء هذا المفهوم الشامل للعبادة نستطيع أن نتعرف الى الخطوط الرئيسية فى صورة العبادة كما نتعرف الى اللمسات الدقيقة التى ترافق هذه الخطوط فتكتمل بها صورة العابد وبالتالى يتم بها التكامل الذى يجعل من الانسان وجودا فى مكانه الطبيعى من الوجود الكونى كله .

فالحج ركن من أركان الاسلام . اذا تركه المسلمون مع توفر شروطه فقد أرتكبوا أثما عظيما ، وافتقدوا بالتالى الشخصية الاسلامية التى تحكى حكاية الفطرة ، والتى أطلق

الله سبحانه وتعالى عليهما اسم (الفطرة) بالذات أو ليس أنه يقول فى محكم كتابه « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » ؟

قصة الحج :

والحج ليس عبادة مشرعة مع الاسلام وحسب ، فهو قديم قدم الدعوة الى الله ، بدأ منذ بدأ وجود مكة فها هو سبحانه وتعالى يقول فى الآية ٩٦ من سورة آل عمران « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » . واذا فالعبادة لله قد نشأت لأول مرة وخصص لها بيت لأول مرة أيضا فى مدينة مكة . ولم تكن هناك عبادة يمارسها الانسان قبل نشوء هذا البيت المطهر الكريم . أما الاحداث والتغيرات التى تعاقبت من بعد فانها لا تغير من حقيقة الحج أبدا .

على ان عبادة الحج الى بيت الله الحرام تدخل فى التاريخ المعروف مع ظهور أبى الانبياء ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . واذا كان القرآن الكريم لم يحدثنا حديث مكة والحج قبل هذا التاريخ فهو لا يعنى عدم وجودها بل يعنى أن حركة التاريخ الانسانى الذى ارتفع الى مستوى الدعوة المنظمة والمقررة فى كتب أو صحف منزلة قد انطلقت منذ أيام ابراهيم الخليل .

وهذا هو السر فى أن الآيات القرآنية قد حدثتنا عن جهود ابراهيم وولده فى رفع القواعد من البيت أى فى رفع الجدران فوق قواعده المقررة الثابتة . فهو يقول فى الآية ١٢٧ ، ١٢٨ من سورة البقرة : « واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » .

ان الحقيقة التى نخرج بها من هاتين الآيتين هى أن الجدران التى رفعت فوق القواعد من بيت مكة اعلان عن مرحلة جديدة فى تاريخ الدعوة الى الله . وقد تقررت بتلك الخطوة ظاهرة الاسلام باعتبارها رسالة الانسان نحو نفسه ونحو الآخرين حتى يوم القيامة . لقد دعا ابراهيم وابنه اسماعيل ربهما أن يجعلهما مسلمين له وان يخرج من ذريتهما أمة مسلمة له أيضا .

وليس هذا وحسب فقد أوحى الله اليهما ان يطالباه ببعث رسول أو رسل من هذه الأمة يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم كما جاء فى الآية ١٢٩ من سورة البقرة نفسها « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » .

هذا الموقف الدينى التاريخى منح بيت مكة مكانة خاصة من دون بيوت الله الأخرى . فكان الحج اليه بمثابة الاحتفال الدورى بالرسالة التى يرمز اليها ، والمهمة التى يقوم بها فى مسيرة العقيدة البشرية .

فى هذا البيت يجد الناس مثابة وأمنا ويحسون فى جواره بالرضى والطمأنينة ويقتربون فى ظله من رحمة الله عز وجل ، ثم يجدون شيئا آخر فيه هو المصلى الذى تتطهر به النفوس .

واذ تقرر فى علم الله أن يكون الحج الى هذا البيت الكريم آية على كل هذه المعانى فقد توجه الأمر الى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بالمبادرة الى تطهيره واعداده بحيث يصبح صالحا للطائفين والعاكفين على

العبادة فيه من راكعين وساجدين ، هذه المعانى نجدها فى قوله تعالى فى الآية ١٢٥ من سورة البقرة . « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

ولكن كيف يمكن الاحتفاظ بهذا البيت على الصورة التى أرادها الله له ؟

ويجيب ابراهيم الخليل عليه السلام على هذا التساؤل بوحى من السماء فيتوجه بالدعاء الى الله يسأله أن يجعل مكة بلدا آمنا وان يرزق أهله من الثمرات بحيث تستمر أسباب الحياة فيه ويكون فى كل الظروف صالحا لاستقبال أفواج الحجاج اليه .

وردهذا المعنى فى جزء من الآية ١٢٦ من سورة البقرة حيث يقول تعالى ، « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر » .

نقطة ارتكاز :

حتى هنا تبرز مكة فى تاريخ الدعوة الى الله مرتكزا تدور جهود المؤمنين من حوله يلجأون اليه فى كل عام ليتبادلوا فيه الراى ويغزوا بحرمته ومعناه حرارة العقيدة وارادة الكفاح من أجلها ، ويجدوا الى جانب هذا الغذاء الروحى ، بفضل الاحساس العميق بوحدة الرسالة والمصير منافع لهم تمهد الطريق لتبادل المصالح المادية عن طريق التجارة او تبادل المساعدات بحيث يتم التلاحم،ويتكامل التواد ، وتتعمق جذور الوجود المادى والروحى لمجتمع المسلمين فى العالم كله .

اغراض اخرى :

وفى تقديرنا أن هذا الوادى المحروم من الماء والزرع قد وقع الاختيار عليه لأغراض أخرى غير التى ذكرناها من قبل .

أولا : أن القحولة فى أرضه وسيلة لتذكير الانسان بعريه أمام الله ، يخرج فيها من حوله وطوله وماله ورزقه ليجد نفسه أمام الذات الالهية فقيرا اليه سبحانه ، وتتضح فى نفسه أمام الصورة الكاملة للسلطة الالهية العليا والوحيدة ، فليس أشد اغراء للانسان واثارة لغروره من أن يجد معالم الثراء تحيط به من كل جانب

ثانيا : أن الناس فى حاجة مستمدة الى ينبوع يلجأون اليه كلما نزل بهم ضر أو أغواهم الشيطان أو صرفتهم الصوارف عن ذكر الله وليس كالصحراء بما فيها من العرى التام ومن العزلة عن متاع الدنيا وزينتها مصدرا لمثل المعنى الذى تحدثنا عنه قبل .

ثالثا : أن التربية الاعتقادية فى الاسلام قد قصدت ، بجعل الوادى القاحل مكانا لعبادة الحج ، الى أن تعلن حقيقة نفسية اجتماعية هى أن عناصر التقدم فى المجتمع ليست محددة بمواطن الثروة المادية وحسب ولكن هذه العناصر فى حاجة مستمرة الى تلك الطاقة الروحية والمتوفرة فى مفهوم العبادة المحضة ، والتى بدورها تغذى ارادة التعاون والتجمع والجهاد . واستمرار مكة مدينة حافلة بالحياة رغم كل الظروف وكل المعوقات المادية هو الآية والعلامة على أن العامل الروحى الذى تصنعه العقيدة هو عنصر اساسى من عناصر التكوين المجتمعى ومصدر لانطلاقة مسيرة الحضارة البشرية .

ان قدرة العقيدة على استقطاب الرجال والنساء واجتذابهم لزيارة هذا الوادى المبارك هى وحدها التى تفسر احتفاظ مدينة مكة بوجودها الدائم .

رابعا : أن وجود البيت الحرام فى الارض القفراء والذى يرمز الى الوجود المستمر للعقيدة الاسلامية يبدو لنا بمثابة الضمانة المادية دون انصراف الاطماع الكافرة اليه . فليس فى ارضه ما يغرى اعداء الاسلام على اجتياحه أو يدفعهم الى القضاء على معالمه الدينية .

اخلاق الحج :

اذا كان البيت الحرام مثابة للناس وامنا ، واذا كان وادى مكة مكانا صالحا للعبادة ولتبادل المنافع بين الناس كما جاء فى بعض آيات الذكر الحكيم ، فقد وجب أن يكون السلام شرطا اول للحفاظ على هذا الأمن وتلك المثابة من ناحية ، ولتوفير الظروف المادية التى تساعد على تبادل المنافع بين الناس من ناحية اخرى ، كما وجب ان يتقيد المؤمن بأخلاق الأتقياء فيمتنع عن كل تصرف أو سلوك يتعارضان مع مفهوم العبادة اولا والسلام ثانيا ، ومن هنا كان قوله تعالى فى الآية ١٩٧ من سورة البقرة « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب . »

فى هذه الآية القرآنية دعوة صريحة للتجاوب مع معنى المثابة والأمن فى مكة خلال أيام الحج ، انها دعوة للامتناع عن فحش الكلام وعن الخروج على حدود الشريعة بل هى دعوة للامتناع عن الخصومة والمشاحنات حتى فى دقيق الأمور وصغيرها ، ان السلام فى فترة الحج يجب أن يكون ظاهرة شاملة فى داخل النفوس ونفى العلاقات بين الناس ، انه يعنى التطهر الكامل فهو يذكرنا بما يمكن أن نسميه اليوم بعملية غسل القلوب والعقول من ادران النيات الفاسدة ومن اغراض الشهوات الدنيا .

فاذا بلغ الحاج المؤمن هذه المرحلة من التطهر الذاتى ، وبعد أن يصبح السلام هو المحتوى الحقيقى لعالمه الخاص فى ظاهره وباطنه ، فان فى وسع الناس من بعد أن يبتغوا فضلا من ربهم،وأن يتبادلوا التجارات وان يحققوا المكاسب المشروعة بالحفاظ على حدود الله .

عملية تربوية متكاملة :

فى ضوء هذه الصورة الدينية التى رسمها القرآن الكريم لعبادة الحج نستطيع أن نستبين الأبعاد الحقيقية للتربية الاسلامية ، هذه الأبعاد تعنى أن الغرض من الحج هو الغرض المقصود نفسه من عبادة فى الاسلام او من الثقافة الاسلامية كلها ، فالعبادة فى الاسلام ليست مجرد طقوس تؤدى ، ولكنها طقوس يقوم بها صاحبها فى صميم حركة الحياة اليومية بكل ما فيها من تبادل المنافع واختلاط المصالح واشباع الرغبات .

والناس فى نظر الاسلام ليسوا ملائكة معصومين من ضغط المطالب الدنيوية ، ان مهمتهم لا تقف عند العبادات الروحية المحضة ذلك أن عباداتهم تنسحب فى معانيها واعراضها على اشياء الحياة العملية .

الطواف حول الكعبة عبادة محضة، ولكن الطواف يشتمل على معنى يجب أن ينسحب على التجارة أيضا ،

فالتجارة الصالحة عبادة ولا يبلغ الطواف غرضه المقصود الا بالقيام بالعمل الصالح ، وفي هذا الربط الذي يشد التجارة الى العبادة ، ويجعل منهما طرفين لوجود واحد مشترك آية على أن الوجود الانساني كله هو عملية تعبدية .

فالعمل المتقن عبادة ، والكفاح في سبيل رفع مستوى العيش ، وتوفير اسباب الراحة للناس عبادة ، وحسن السياسة في التعامل مع الناس عبادة شرط أن تكون وراء كل هذه التصرفات الدنيوية ارادة العمل لوجه الله والاستنارة بنور الله .

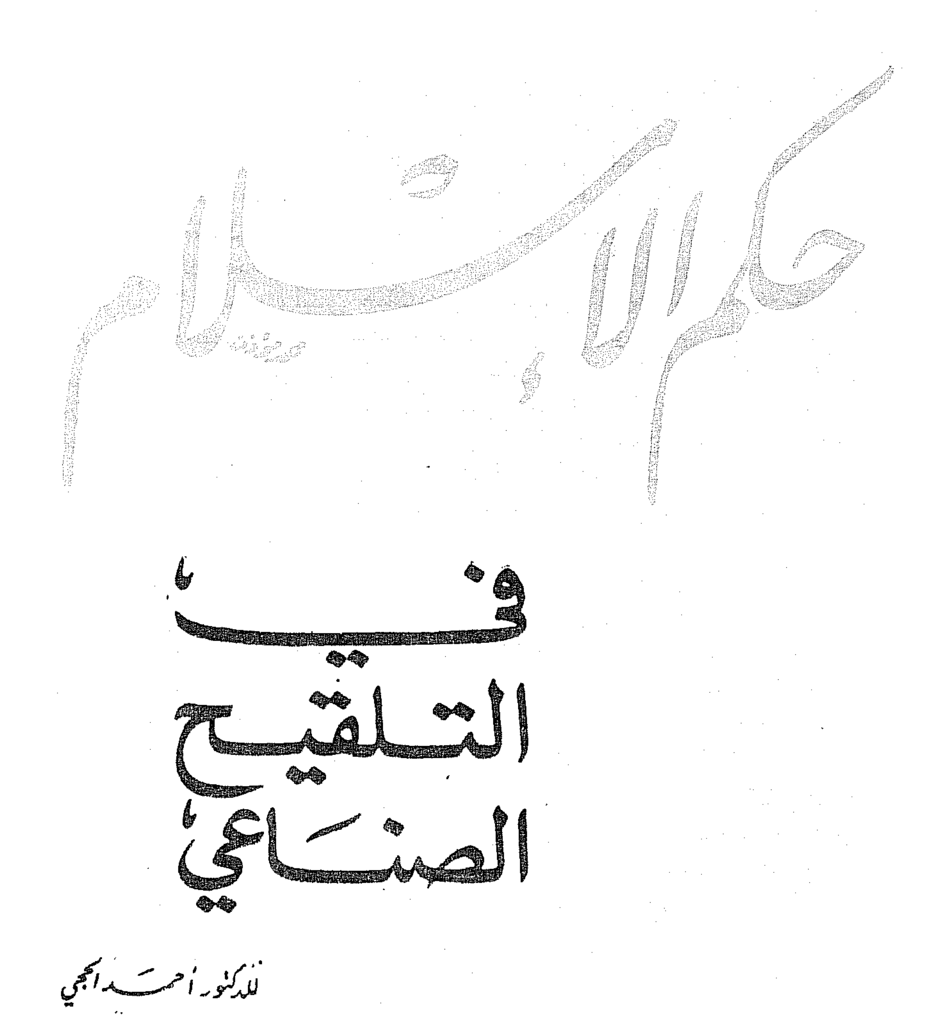
الحج كل وجزء من الكل :

واذا فالحج عبادة متكاملة تتلاحم بها العقيدة والعمل ، ولكنه في الوقت نفسه جزء من العبادة الشاملة في الاسلام ، ان العملية التربوية في عبادة الحج تتكرر على صور أخرى في عبادات الصلاة والصوم والزكاة ، وان كلا من هذه العبادات وحدة متكاملة تستوعب الغرض العام من الدعوة الى الله ، ولكنها في الوقت نفسه جزء مكمل للعبادات الأخرى بحيث لا تغني الواحدة منهما عن غيرها ابدا . هذا هو معنى الرؤية المتكاملة في العقيدة والشريعة ، أنها تستوعب كل الاوامر والنواهي بحيث تتحقق بها وحدة التربية الدينية الشاملة .

بين العبادة والكون :

ولتقريب رأينا في مفهوم العبادة نستطيع ان نقول ان البناء الكوني العام هو صورة لمفهوم العبادة في الاسلام ، فاذا كانت الذرة البالغة الصغر ، كما يقر علماء الفيزياء صورة لحركة الكواكب في الفضاء كما يقررها علماء الفلك فان هذا لا يعني أن الكون في بنائه الذري يمكن ان يستغني عن بنائه النجمي ، ان وحدته تتحقق بتحقق التلاحم بين بناء الذرة وبناء المجرات ، فالكل أجزاء لوحدة متكاملة لا يلبث أن يفقد أصالته حين ينفصم اى جزء منه عن الأجزاء الأخرى ، هكذا العبادات في الاسلام طقوسا تؤدى أو تصرفات تصدر عن صاحبها ، هذه وتلك وحدة متكاملة لا انفصام لأجزائها بعضها عن بعض .
في ضوء هذا المفهوم نواجه عبادة الحج ، ومن خلاله نضيع هذه العبادة في صميم البناء التعبدي الاسلامي كله ، واذا كان المسلمون اليوم يفتقدون النتائج المترتبة على العقيدة والعمل في الاسلام ، وهي التي وعدنا الله بها في كتابه الكريم ، وفي مقدمتها النصر والعزة والسيادة فلان العابد المسلم يعيش حالة من الانفصام يفتقد معها الاحساس القوى بوحدة العملية التربوية في الاسلام .

ان النطق بالشهادتين هو المدخل الوحيد للانضواء في عالم الاسلام وللالتزام بمسؤولياته كلها ، فاذا لم يكن الانضواء كاملا والالتزام شاملا ، فقد فقد النطق بالشهادتين وحدته والغرض والمقصود منه ، ان الاسلام لا يؤخذ بعضه ويترك بعضه بل يشترط في صاحبه أن يحتفظ به وحدة متكاملة الأجزاء .



لقد تداولت الصحف والاذاعات العالمية في الآونة الأخيرة مسألة التلقيح الصناعى للانسان ودارت ندوات عديدة وكتبت أبحاث متفرقة حول هذا الموضوع تعالجه من جميع جوانبه الطبية والقانونية والاجتماعية وغيرها ، وكان لزاما على فقهاء الشريعة الاسلامية ان يبحثوا فى هذا الموضوع قبل غيرهم ويبينوا حكم الاسلام فيه وموقفه منه إباحة وتحريما ، لان قولهم الفصل فى مثل هذا الموضوع الخطير الذي يتعدى كونه مظهرا من مظاهر الابداع العقلي والتقدم الحضارى كسائر مظاهر التقدم والابداع والاختراع التى توصلت اليها الانسانية في شتى المجالات الصناعية وغيرها ، ذلك أن الجنس البشرى والمحافظة عليه نقيا مكرما هو الثمرة التى تسعى لخدمتها كل المخترعات وكل مظاهر التقدم والحضارة الاخرى ، ومن هنا جاءت خطورة هذا الموضوع الشائك .

الا ان فقهاء الشريعة الاسلامية — لا فى سورية وحدها بل فى العالم الاسلامى كله — تأخروا عن زملائهم علماء الحياة فى البحث فى هذا الموضوع ، ولعل عذرهم فى ذلك هو استبعادهم الكامل لنجاح مثل هذه التجارب وايمانهم العميق باخفاقها من الناحية الطبية . .

الا أن هذا الاعتذار لا يمكن أن يكون مقبولا ولا مبررا لابتعادهم عن دراسة مثل هذه المشكلة ، ذلك أن هذه النظرية غير مستحيلة عقلا ولا شرعا ولا طبا ، وليس هنالك من يستطيع الجزم باخفاقها فضلا عن أن بوادر نجاحها اصبحت ظاهرة جلية ، وعلى اى تقدير فان عليهم أن يدرسوها ويبينوا حكم الاسلام فيها ، وعلى ضوء هذا الحكم الذى يتفقون عليه ينبغى على الطب والعلم ان يتابع طريقه أو يتوقف عن متابعة التجارب ، أو على الاقل على العلماء والاطباء المسلمين ومن يؤمن ويعتقد بعالمية الشريعة الاسلامية ودقة احكامها ان يلتزم بذلك وعلى غيرهم أن يستنير بهذا الحكم فيكون منبها له يضع اصابعه على مواطن الخطر فيما هو بصدده من أبحاث وتجارب .

والى ان يتم البحث فى هذه المشكلة او النظرية بين علماء المسلمين فى مؤتمراتهم واجتماعاتهم الدولية أو المحلية ارى أن من واجبى ضرورة القاء بعض الاضواء الفقهية على هذا الموضوع ، وهى أضواء — اعترف مسبقا — بأنها خافتة قد لا تستطيع أن تنير السبيل وتوضح معالم الشعاب المتعددة فيه ، ولكنها جهد المقل ، ولعلها تستطيع ان تثير انتباه فقهاء المسلمين نحو بحث هذا الموضوع على الشكل الذى يتطلبه .

لم يتعرض فقهاء المسلمين السابقون الى بحث هذه المشكلة بالذات لانها لم تكن معروفة لديهم ولا متوقعة فى عصرهم ، ولو أنهم بحثوها فى زمنهم لاتهموا بالشطط فى البحث وإضاعة الوقت ، ويكفيهم ما اتهموا به — من قبل بعض الناس زورا وبهتانا — بالسفسطة عندما تعرضوا لمسائل يتعذر وقوعها أن يستبعد عادة حتى سموهم بالآرائيين لكثرة ما يصورونه فى المسائل الفقهية من احتمالات ممكنة الوقوع عقلا وان كان وقوعها مستبعدا عرفا ، مما اغنى الفقه الاسلامى بثروة تشريعية ضخمة تعتبر كنزا دفينا لنا ونحن نعيش عصر نهضة وتقدم نحتاج فيه الى الكثير مما كان يعتبر بحثه عبثا أو اضاعة للوقت بعد أن أصبح واقعا لا مناص من دراسته وبيان حكم الاسلام فيه .

ولكن عدم تعرض الفقهاء لدراسة هذا الموضوع لا يعنى بحال ان ليس للاسلام حكم فيه ، بل يعنى أن علينا أن نرجع الى مصادر الفقه الاسلامى نستنطقها الحكم الشرعى فى هذه المسألة كما كان يفعل الفقهاء والمجتهدون رضى الله عنهم ، ونحن إن كنا نقصر عن الوصول الى مرتبتهم فى العلم والنظر فما علينا الا أن نستهدى فى تخريجنا لحكم هذه المسألة بقواعدهم وضوابطهم مستلهمين الله تعالى التسديد والتوفيق للوصول الى الحق . .

ان من القواعد الفقهية الكلية قولهم : « الاصل فى الاشياء الاباحة ، والاصل فى الفروج التحريم » .

هذه القاعدة الفقهية الثمينة تعنى ان كل الاشياء تعتبر مباحة حتى يقوم الدليل على تحريمها الا مسائل الفروج فانها على عكس ذلك تعتبر محرمة

حتى يقوم الدليل على اباحتها ، والمراد بمسائل الفروج احكام الزواج والطلاق وما يتبعها من الابواب والفصول الفقهية .

وبما أن التلقيح الصناعى للانسان من هذه الابواب فما علينا الا أن نطبق هذه القاعدة عليه فنعتبر ان الاصل فيه التحريم حتى يقوم دليل الحل ، ثم نبحث عن هذا الدليل .

يؤيد مدلول هذه القاعدة الفقهية قوله تعالى « يسألونك عن المحيض قل هو اذى ... فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله » فان ذلك يدل على ان أصل اتصال الرجل بالمرأة حرام الا بالشروط والاوضاع والاشكال التى ورد الاذن بها من الله تعالى ، كما يؤيده قوله تعالى « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انا شئتم » فانه يبين المكان الذى أذن الله تعالى باتصال الزوج بزوجته منه وهو القبل اذ هو مكان البذر فكان غيره محرما بمفهوم هذه الآية .

ثم اننا اذا رجعنا الى المفهوم السامى الذى شرع الله تعالى من أجله التزاوج بين الرجل والمرأة لوجدناه يتجسد فى ايجاد السكن النفسى بين الزوجين بحيث يرتع الاطفال فى كنفه ويعيشون فى ردهاته ويشعرون تحت ظله بالعزة والكرامة التى فطر الله الانسان عليها وحققها فيه بقوله سبحانه « ولقد كرمنا بنى آدم » ، ومن اجل ذلك حرم الاسلام الزنا لما فيه من امتهان واستهتار بالولد وحقوقه وأضاعة لكرامته وقضاء على كبريائه والا فأى كرامة لابن الزنا الذى لا يعرف له أب يرعاه ويصونه ويقوم باوده وبالتالى اى كرامة لذلك الطفل الذى يصنع فى أنبوبة الاختبار وينمى فيها كما تنمى فراخ الدجاج تماما دونما فارق بينهما ، بل أى كرامة أو عزة لذلك الطفل الذى اختلط فى رحم امه ماء أبيه وماء رجل آخر حمل اليها فى حقنة ليكون عنصرا مساعدا فى انجابه ، أى كرامة لهذا الانسان الذى زج به فى رحم امه بواسطة المحقن كما يزج أى دواء أو علاج آخر ..

فاذا طلب منا أن نتنازل عن الكرامة ونتغاضى عن العزة الانسانية فى سبيل اغراض أخرى فان ذلك معناه التنازل عن انسانيتنا فنكون نوعا من انواع تلك البهائم التى ترتع فى أرض الله لا فارق بيننا وبينها ، اذ الكرامة الانسانية وحدها هى العنصر المميز لنا عن انواع الحيوانات الأخرى ، ولا اعتقد ان أحدا ممن يحاولون انجاح التلقيح الصناعى للانسان يرضى بالنزول عن كرامته الانسانية أو شىء منها لأى غرض كان .

لذلك فاننا لا بد ان نقرر ان لا دليل مطلقا على حل هذا التلقيح الصناعى فى الكتاب والسنة ومذاهب الفقهاء ، وعلى ذلك يكون محرما — طبقا للقاعدة الفقهية السابقة — ، بل أكثر من ذلك فان الدليل قائم على الحرمة ايضا بالنظر لانتفاء معانى الكرامة الانسانية فى طرق التلقيح الصناعى للانسان الذى لم يبح الله سبحانه اتصال الرجل بالمرأة الا بعد ضمانه حفاظا عليه وصونا له .

وتوضيحا لذلك أرى من المناسب تفصيل القول فى جميع الطرق الممكنة لهذا التلقيح والتعليق على كل طريقة منها بما يناسبها ، فان لكل طريقة من هذه الطرق معناها الخاص وميزاتها وبالتالى التكييف الفقهى لها ..

واهم هـــذه الطرق هي : ـــ

١ ـــ أن يتم حمل النطفة من الزوج الى رحم المراة بطريق آلـــة صناعية لضعف الزوج عن ايصالها الى رحم زوجته بسبب مرض أو عيب .

٢ ـــ ان يتم نقل نطفة رجل غريب الى رحم الزوجة لعدم صلاحية نطفة الزوج للانجاب .

٣ ـــ ان يتم الجمع بين نطفة الزوج وبويضة المراة في انبوب اختبار لعدم تمكن الزوج من الاتصال بزوجته اتصالا طبيعيا مثمرا ، أو لاهداف علمية أخرى .

٤ ـــ ان يتم جمع نطفة الزوج ببويضة المراة ولو اجنبية عنه فـــي انبوب اختبار .

هذه الصور الاربع للتلقيح الصناعى هى الممكنـــة والغالبـــة في موضوعنا ، وعلينا أن ندرسها على ضوء الاحكام الفقهية العامة المتقدمـــة واحدة واحدة . .

١ ـــ الصورة الاولى يحكم الاسلام بحرمتها (١) من غير جدال ، ذلك ان الله شرع الاتصال الجنسى بين الزوجين لغاية أساسية أولى هـــى تأمين السكن النفسى الناتج عن المتعة الجنسية والعاطفية ، وثانيـــة تابعة لها وهى انجاب الاطفال ضمانا لاستمرار النوع البشري ، وهذه الصورة إن كانت تحقق لنا غاية الزواج الثانية فانها لا تحقق الغـــاية الاساسية الاولى التى لا تقبل الثانية الا بعد تحققها ، مصداقا لقوله تعالى: « .. وجعل منها زوجها ليسكن اليها .. » وقوله تعالى « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » وغنى عن البيان ان هذه الصورة لا تحقق مطلقا الاشباع العاطفى والنفسى لواحد من الزوجين ، وبالتالى تكون محرمة طبقا للقاعدة الفقهية التى أوردناهـــا في أول هـــذا البحث وهى « الاصل فى الفروج التحريم حتى يقوم الدليل على الحل » . .

٢ ـــ أما الصورة الثانية ، فهى زنا من كل وجه ، ومعروف لكل انسان موقف الاسلام من الزنا ، بل موقف العالم كله منه ، والا فما الفرق بين اتصال رجل بامراة أجنبية عنه اتصالا طبيعيا أو اتصالا غير طبيعى بنقل نطفته الى رحمها ـــ ما دام المعنى العام لتحريم الزنـــا في الاسلام انما هو الحفاظ على نقاوة الانساب ، بل اين الكرامة الانسانية لهذا المولود المتخلق من هذا الامشاج غير الكريم وغير المحترم ، واذا فاتت الكرامة الانسانية انعدم الحل لارتباطه بها كما أسلفنا ، واذا كان لنا ان نبيح هذا العمل فى حق الحيوان لان المعنى فيه هو مطلق ايجاده كيفما كان تحقيقا لرفاه الانسان ، فليس الامر كذلك فى حق الانسان لانه الغاية التى خـــلق الله الحيوانات لخدمته وسخرها له وفرق كبير بين الوسيلة والغاية ، ثم بأى النسبين نصل هذا الطفل ، أبنسب ابيه الفعلى صاحب النطفة أم بنسب زوج أمه الشرعى المسكين الذى ليس له فى جسم هذا الطفل اى جزء أو اثر ، أليس فى ذلك خلط للانساب وهتك للحرمات ودثر كامل لكرامة الانسان التى أمتن الله عليه بها .

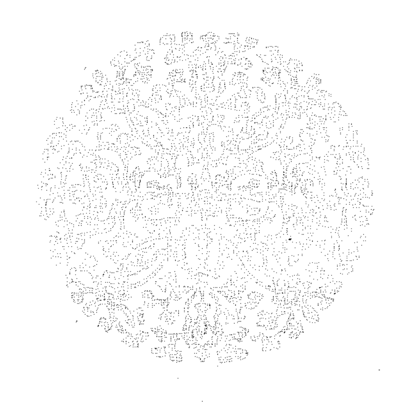
٣ ــ واما الصورة الثالثة ، فغنى عن البيان القول بحرمتها أيضا لما فى ذلك من امتهان للكرامة الانسانية التى حرص الاسلام عليها ولم يبح الاتصال الجنسى الا فى كنفها وبعد توفرها ،

وقد قدمنا ما فى هذه الصورة من امتهان لكرامة الانسان والحاق له بالحيوان العادى وتجريده من أثمن ما امتازه الله تعالى به من عــزة وكرامة عن جميع مخلوقاته الاخرى .

٤ ــ واما الصورة الرابعة فهى ادنى حالا من الصورة الثالثة ، ولذلك فهى محرمة لنفس الاسباب المتقدمة ولما فيها من إضاعة للنسب وتشريد لهذا الطفل المخلوق .

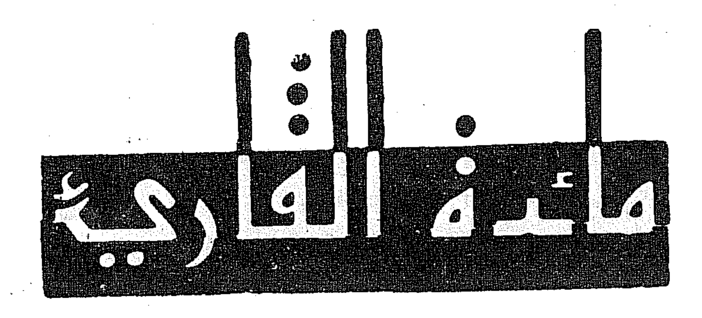
هذه هى الصور التى رأيت أن التلقيح الصناعى يمكن أن يتم عــن طريقها ، بحثتها بشكل مجمل والمحت الى حكم الاسلام فيها من وجهة نظرى وفى حدود ما اتجه اليه قلبى من أنه الحق الذى لا مراء فيه ، وهى بالتالى ليست بحثا بقدر ما هى دعوة الى البحث والدراسة لهــذا الموضوع وعرض وجهات نظر الفقهاء المعنيين بالابحاث والدراسات الاسلامية ، وكم كــان بودى لو يعرض هذا الموضوع الخطير فى نتائجه وآثاره على مؤتمر البحوث الاسلامية فى دورته القادمة ليقول فيه قولته ويبدى فيه رأيــه كما يفعل فى كثير من الموضوعات الاسلامية المستجدة ذات الخطر الكبير .

والله ولى التوفيق ..



---

(١) بعض الفقهاء المعاصرين يرى حل هذه الصورة .



خائنة الاعين

قال تعالى (يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور) .
قال سفيان الثورى — خائنة الاعين الرجل يكون فى المجلس يسترق النظر فى القوم الى المراة تمر بهم فان راوه ينظر اليها اتقاهم فلم ينظر ، وان غفلوا نظر . (وما تخفى الصدور) قال — ما يجد فى نفسه من الشهوة .

وقف الاعراس

من اوقاف المسلمين السابقين وقف الاعراس لاعارة الحلى الزينة فى الافراح . يستعير الفقير منه ما يلزمه فى عرسه ، ثم يعيد ما استعاره الى مكانه وتستعير العروس ما تتزين وتتحلى به فى يوم عرسها ثم تعيده الى مكانه وبهذا يتم الفرح وتمتلىء النفوس بالسرور ..

الجزاء العادل

روى سعيد بن منصور فى سننه عن عمر رضى الله عنه انه كان — يعنى عمر — يتناول طعامه اذ جاءه رجل يعدو ، وفى يده سيف ملطخ بالدم ووراءه قوم يعدون خلفه فجاء حتى جلس مع عمر ، فجاء الآخرون، فقالوا يا أمير المؤمنين ان هذا قتل صاحبنا ، فقال له عمر ما يقولون ؟ فقال يا أمير المؤمنين انى ضربت فخذى امراتى فان كان بينهما احد فقد قتلته ، فقال عمر — ما يقول ؟ قالوا — يا امير المؤمنين انه ضرب بالسيف فوقع فى وسط الرجل وفخذى المراة ، فاخذ عمر سيفه فهزه ثم دفعه اليه وقال — ان عاد فعد .

نفقات حج عمر

لقى سفيان الثورى الخليفة ابا جعفر المنصور فى منى ، فقال له سفيان ـ اتق الله فانما انزلت وصرت فى هذا الموضع بسيوف الانصار والمهاجرين وابناؤهم يموتون جوعا .

لقد حج عمر بن الخطاب فما انفق الا خمسة عشر دينارا ، وكان منزله تحت الشجر فقال له ابو جعفر ـ اتريد ان اكون مثلك ، قال : لا تكن مثلى ولكن كن دون ما انت فيه ، وفوق ما انا فيه .

تاويل آية

قوله تعالى (فمن فرض فيهن الحج) احرم فيهن .

وقوله سبحانه (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال) الرفث الجماع ، والفسوق السباب والجدال ـ ان تمارى صاحبك حتى تغضبه .

دخول الكعبة

عن عائشة ام المؤمنين قالت ـ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال ـ صنعت اليوم شيئا لو كنت استقبلت من أمرى ما استدبرت ما صنعته ، قالت ـ قلت وما ذاك يا رسول الله ؟ قال دخلت البيت وانه لم يكتب علينا دخوله إنما كتب علينا طوافه .

الصلاة على رسول الله

عن كعب بن عجرة قال ـ لما نزلت (يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ـ يا رسول الله ـ هذا السلام عليك قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال ـ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد .

الانسان بين المادة والروح

ندوة ثقافية اشترك فيها :
سعادة وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية والشيخ محمد الغزالي

إعداد الأستاذ : عبدالله خلف

اقامت اللجنة الثقافية بجمعية الهلال الأحمر الكويتى أمسية ثقافية ، اشترك فيها وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ راشد الفرحان والشيخ محمد الغزالى مدير ادارة الدعوة والارشاد بوزارة الأوقاف فى جمهورية مصر العربية ، وطرحت فى هذه الأمسية ندوة عنوانها : « الانسان بين المادة والروح » وقدم الأستاذين لجمهور الحاضرين الأستاذ سعدون الجاسم وكيل وزارة الاعلام بكلمة مناسبة .

* * *

بدأ الندوة فضيلة الأستاذ محمد الغزالى فتكلم عن الفكرة القديمة التى كانت سائدة حول الجسم والروح قبل أن يظهر الاسلام بتعاليمه الهادية . وبين أن هناك صراعا قديما بين الجسم والروح وأن فكرة سادت فى تلك الفترة أعلنت بأن كمال احدهما لا يتم الا على حساب الآخر وان طلاب التسامى الروحى قديما كانوا يلجئون الى رياضات عنيفة بدنية شاقة يكبتون فيها غرائزهم ويعودون فيها أبدانهم كثيرا من المشقات والصعاب ويعتقدون انه لا سبيل الى ادراك الصفاء النفسى الا على أنقاض بدن مهشم قد خذلته قواه وضعفت أركانه وذلك هو السبيل الى سناء النفس وزكاة الروح . كأن الروح والبدن كفتا ميزان ما ترتفع أحداهما الا على حساب انخفاض الاخرى كان ذلك قديما هو الفكر السائد . وربما احتضنه الهنود القدماء وكانت الرهبنة الهندية والرياضات التى نجمت عنها عبارة عن وأد البدن واذلاله وتكليفه ما لا يطيق، وتسللت هذه الى المسيحية وكانت الرهبنة ودعا اليها بعض الصوفية المتطرفين .

نظرة الاسلام :

آمن الاسلام بالروح والجسم معا ونظر للانسان نظرة متكاملة فهو انسان



اقامت جمعية الهلال الاحمر الكويتي ندوة عنوانها (الانسان بين المادة والروح) وقد اشترك فيها وزير الاوقاف والشئون الاسلامية راشد الفرحان وفضيلة الشيخ محمد الغزالى مدير ادارة الدعوة بوزارة الاوقاف فى جمهورية مصر العربية ، وحضرها عدد كبير من المواطنين . ويبدو فى الصورة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية وفضيلة الشيخ الغزالى اثناء الندوة .

بعقله وبدنه وأفكاره وغرائزه ، هو انسان كل لا يتجزأ وانه يجب أن ينظر اليه على انه هذا الكيان المتكامل المتماسك .

وبالنسبة الى الجسم نظر الاسلام اليه نظرة فيها شيء من الاعجاب . قال الله تعلى : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك » . ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم الى هذا الجسم باعجاب أيضا فيروى أصحاب السنن عنه انه كان وهو ساجد يقول :

« سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله احسن الخالقين » .

هذا الجسم ما ينبغى قط أن يهمل أو يضيع . فالآلة الميكانيكية التى تخدم الانسان يعطيها الانسان كثيرا من رعايته واهتمامه فكيف بهذا الجسم العجيب الذى خلقه الله سبحانه .

وموضوع الجسم وحاجة الانسان فى حياته وافعاله كلها أعمال مادية اهتم بها الاسلام كما اهتم بحياة الانسان الروحانية . اهتم بالجسم والروح فى الدنيا والآخرة ويتضح ذلك فى دعوات المسلم عندما يسأل الله العفو والعافية ، العافية لبدنه والعفو لنفسه فى الدين والدنيا والآخرة ويسأل الله الأمرين فى المعاش والمعاد : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » . ونرى النبى صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : « اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر واعوذ بك من عذاب القبر لا اله الا أنت » . قال العلماء استعاذ به من الكفر لأنه ضياع الآخرة واستعاذ به من الفقر لأنه ضياع الدنيا . والاسلام يهتم بالدنيا والآخرة على سواء . قال تعالى « وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا » . . ونسمع فى أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيج وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطالة » . عندما استعاذ به من

الخيانة فانه يستعين به من الرذائل التى تستهلك دين المرء وتضيع ضـــميره واخلاقه وعندما يستعيذ به من الجوع فهو يستعيذ به من الازمات التى تجعـل الانسان ينطلق فى الدنيا وليس له وقود يتحرك به وليس له ما يجعل الدنيا فى عينيه ويجعلها ميدانا لأداء رسالته فيها .

واهتم بالجسم من ناحية النظافة وجعلها رمزا ودلالة على الايمان ، لهـذا فرض الطهارة المستمرة لأطراف الانسان والمواضع التى تنشط فيها الافـرازات عادة كما أوجب الاغتسال ، ولم يخص النظافة بجسم الانسان وحده بل الزمـه النظافة العامة وعدم مضايقة الآخرين برائحـــة غير كريمة . نرى ذلك فـى الاغتسال والتطهير عند الصلاة والتطيب عند دخول المساجد واتخاذ الزينة فيها . ولهذا قرر الفقهاء ان المريض فى فمه الذى تظهر منه رائحة كريهة تسقط عنـه صلاة الجماعة وتسقط عنه صلاة الجمعة فلو أن انسانا فيه مرض البخر أو أى مرض تؤذى الآخرين رائحته فان صلاة الجماعة والجمعة تسقطان عنه ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على أن الاسلام يتجه الى النظافة العامة . واجمل من هذا اهتمام الاسلام بالزينة ، وغريب أن يهتم دين بزينة الانسان فقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا عليه ثياب رثة فقال له : الك مال ؟ فقال نعم . من كل انواع المال آتانى الله . قال : فلير اثر هذا عليك ، ان الله يحب أن يرى اثر نعمته على عبده .

ورأى رجلا ثائر الرأس فقال :

« اما وجد هذا ما يسكن به رأسه » فلما سرح رأسه ورجله وطيبه قال صلى الله عليه وسلم « هذا خير من أن يجيىء أحدكم ثائر الرأس كأنه شـيطان » . والرسول كان جميلا ونظيفا وكان الناس اذا وجدوا رائحة كريمة فى مكان قالوا لعل محمدا مر من هنا لأن الرائحة الطيبة كانت تتبعه حيث كان قد عرف بهذا .

سأله احد الناس احب ان تكون نعلى حسنة وثوبى حسنة اهذا من الكبـر قال لا هذا جمال والله جميل يحب الجمال . ومن لطائف القرآن الكريم فى هـذا قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » كأن زينة الحياة أصلا كانت للمؤمنين ولكن سمح أن يشركهم فيها الكافرون فى الدنيا ثم ينفردوا بها فى الآخرة دون الكفار .

وبعد ان بين فضيلة الشيخ مواضع الأخذ بالنظافة والطهارة والزينة من النصوص المشرعة فى الاسلام من القرآن والسنة ، وأسهب فى الندوة مع الشرح والايضاح تناول جانبا آخر وهو مكانة المسلم فى هذه الدنيا ، وكيف أن عليه أن يعيش مكرما فيها قويا لا ذليلا ضعيفا يحيا على هامشها ؟؟ أن الاسلام دعا المسلم أن يعيش ملء هذه الدنيا .

وقد رد فضيلة المحاضر على بعض دعاة التدين الذين يذهبون الى أن الايمان لا يكمل وان التقوى لا تتم الا اذا كان الانسان غير ممكن من الدنيا أو بعيدا عـن ثرائها وجاهها أو محروما فيها ومن طيباتها ، وضح الشيخ الغزالى لهـؤلاء رأى الاسلام بالآية الكريمة التى تحدث الله تعالى بها عن يوسف عليه السلام بعد أن اسند الى يوسف منصب تدبير المال :

« وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوء منها حيث يشاء » ثم قال : « نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين » . . هذا التمكين لا يقصد منه الا التمكين فى الحياة الدنيا وليس عن حياة الآخرة لقوله تعالى بعد ذلك مباشرة « نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين . ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون » .

كما أوضح راى الاسلام فى هذه الموجة الانسحابية التى انتشرت فى العالم الاسلامى وتشبعت بأفكار المتصوفين الحمقى المتطرفين وردد اقوال الأئمة المتصوفين الصالحين الفاقهين ، وروى أن رجلا وضع يده على ملابس أبى الحسن الشاذلى صاحب الطريقة الصوفية المعروفة وقال له يا امام أهذا ثوب يعبد الله فيه ؟ وكان ثوبا فاخرا فقال له الحسن :

ثوبي ينادي علي بالغنى عن الناس أما ثوبك فينادي عليك بالفقر على الناس

وقال له آخر :

انى أترك اناء الماء فى الشمس حتى أشرب الماء ساخنا لأن نفسى تريد الماء باردا وأنا أريد أن اكبت نفسى فقال له : انقل الماء من الشمس الى الظل فانك ان شربت الماء باردا ثم حمدت الله انتزعت الحمد من أعماق قلبك . هذا اتجاه رجال الصوفية الأتقياء عندما كانوا فقهاء مثقفين مدركين لمعالم الشريعة التى ينتسبون اليها فلما جاء ناس بعد ذلك لا قدم لهم فى الفقه روجوا ، محبة الفقر بين الناس واشاعوا نوعا من البطالة فى الاسلام وجهلوا أن يتصوروا أن دينا لا مال له لا ينتصر ، ويستحيل ان تكون لدين عدة جهاد وهو فقير ومحروم من القدرة المالية التى يعد بها سلاحه وجيشه وعلى أن يلقي الأعداء . وكان انسحاب هؤلاء من الحياة العامة سببا فى شرور كثيرة .

والاسلام حدد مكانة الانسان بين الروح والمادة ويتضح ذلك فى مواضع كثيرة اشار اليها كتاب الله وما يخص المال قال : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » فالمال قيام الانسان ، ويقول فى وصف المال انه خير « وانه لحب الخير لشديد » ويقول سبحانه « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا » كلمة خير هنا بمعنى المال . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص بعد اسلامه وقد بعثه فى غزوة من الغزوات : « سأبعثك فى غزوة تغنم فيها وتسلم فشعر عمرو وكأن هذه الكلمة تتهم ايمانه فقال : يا رسول الله انا ما اسلمت طلبا لمال فقال له الرسول : يا عمرو نعم المال الصالح للعبد الصالح .

وبعد ذلك تناول المحاضر ناحية أخرى انفرد فيها الاسلام عن الشرائع الأخرى وهى نظرة الاسلام الى الجنس . الجنس الذى اذله رجال الديانات السابقة بالرهبنة والرياضات القاسية والتزمت ، جاء الاسلام وحدده ولم يغفله لأنها فطرة فطر الله الانسان عليها ومشاعر خلقها الله فى الانسان ، كما خلق الطعام ودله عليه بحدود معينة وعلمه الحلال منه والحرام وكيف يقدم عليه . وكما وفر له اى نعمة من نعم الله الأخرى وهداه اليها وجعل لها انظمة وحدودا تكفل له الهناء والسلام واحترام النفس واكرامها . وتناول الشيخ الغزالى باجمال نظرة الدول الغربية للجنس وموقفها بين الرهبنة والاباحة وعدم التزامهم بنظم اخلاقية معينة وكيف ولد عندهم الانفجار الأخلاقى والابتذال بالجنس بالطرق غير المألوفة وبطرق

الحرام والضياع . أما الاسلام فكانت نظرته نظرة طبيعية بالنسبة للجنس .. ما قال الاسلام قط ان غريزة تولد فى الانسان وينمو كيانه عليها ويتصل وجوده بها يمكن أن تكون شرا أبدا ، نظر اليها كما نظر الى المتع والنعم الأخرى اذا كانت من مصدر شريف ومن كسب حلال مع عفة وادراك لوظيفة الانسان فى الارض ، وقد ساق الله هذه النعمة وسط نعمه الكبرى التى تفضل بها على عباده « ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون » .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

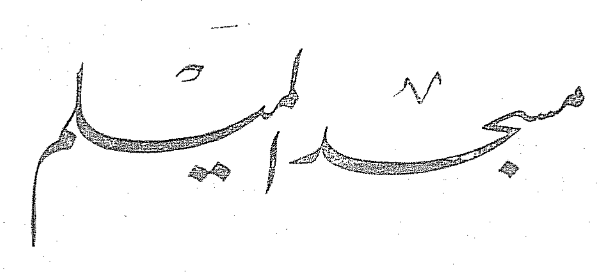
وكما اهتم بالسمو المادى اهتم بالسمو النفسى وكما اهتم بالطهارة الجسدية اهتم بالطهارة النفسية .

ومن حكم ابن عطاء السكندري الصوفي : اذا مدحك أحد فانما مدح نعم الله عندك والفضل لمن منحك لا لمن مدحك .

والروحانية هنا ليست بالتجرد من الدنيا والجسد ، ولكنه غذاء فكرى يجب على المسلم أن يهتم بعقله وبدنه وليس كالدابة التى تعيش لتأكل فقط بل الانسان يأكل ليعيش وفى عيشه يطلب لجسمه وعقله معا .. وبعد ذلك تحدث سعادة وزير الأوقاف الأستاذ راشد الفرحان فى نفس الموضوع الانسان بين المادة والروح . وموعدنا للحديث عن الجزء الآخر من الندوة العدد القادم .



مساجد الكويت



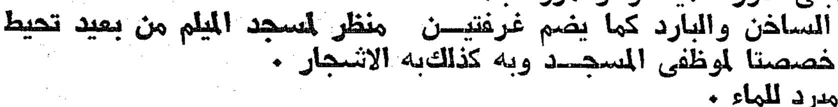
مسجد الميلم

يقع مسجد الميلم الفخم الذى بناه على نفقته الخاصة الحاج محمد عبد العزيز الميلم على شارع الرياض أحد شوارع الكويت الفسيحة وقد اسس هذا المسجد فى ٤ ذى الحجة ١٣٨٧ (١٩٦٨/٣/٣ م) .

وتلفت الناظر الى المسجد هـــذه المئذنة السامقة التى تعبر بجـــلال عن تسامى القلوب المؤمنة الى السماء فى شوق ومحبة وهى أعلى مآذن الكويت على الاطلاق وقد غطيت فتحاتهـــا المستطيلة بالزجاج الاخضر حتى اذا أضيئت ليلا ســـطعت شعلة خضراء تحيط بها هالات وسط الظلام يراها الناظر من مسافات بعيدة .

ويحيط بالمسجد سور له أبـــواب أربعة وقد بنى على أحد جوانبه سبيل به مبرد كبير للماء للمارة والمصلين وحين تدخل السور فانك ترى خضرة العشب فى شبه حديقة صغيرة صفت فيها مقاعد رخامية أعـــدت كى يجلس عليها من ينتظر فتح أبواب المســـجد للصلاة .

والمسجد على الطراز العربى المزين بفنون النقش العربى ذى الاشكـــال الفنية الرائعة وفى داخل هذا السور مبنى لدورة المياه وهو مزود بالمـــاء الساخن والبارد كما يضم غرفتيـــن خصصتا لموظفى المســـجد وبه كذلك مبرد للماء .



منظر لمسجد الميلم من بعيد تحيط به الاشجار .

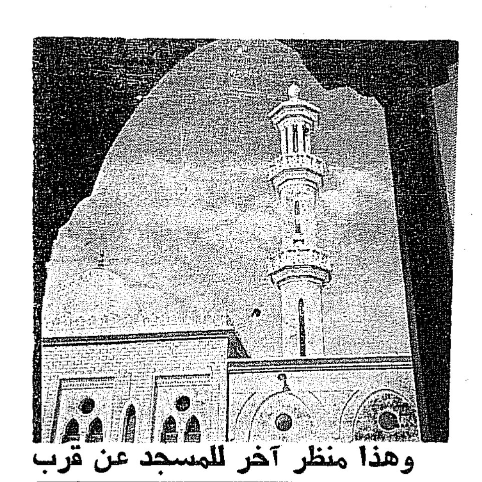
أما المسجد ذاته فانك ما تكاد تدخل من احدى بواباته الثلاث الحديدية ذات الزجاج الاخضر والقبضات النحاسية حتى تطأ أقدامك أرض الساحة الكبيرة التى تتصدر المسجد وهى معـــدة لاستيعـــاب المصلين عنـدما يزدحم المسجد فى صلاة الجمعة والعيدين ، وقد ظللت مساحة كبيرة من هـــذه الساحة وأقيم سقفها على أعمـــدة كسيت بالرخام الابيض وأرضيتهـا من الرخام الملون .

وعندما تدلف الى المسجد فانـك لا بد ستدهش برهة من الوقت امام الفن الرائع الجمـــال ، فالمسجـد تعلوه قبة كبيرة تكـــاد تغطى ثلث مساحة المسجد وقد أضيئت اضاءة غير مرئية بالنور الابيض (النيون) تتدلى منها ثريا كبيرة تضفى عـــلى المسجد ضوءا أخاذا بجانب الضـــوء الـــذى ينبعث من الثريات الكثيـــرة المتقاربة المتدلية من السقف .

أما الاعمدة الاربعة التى تقـــوم عليها هذه القبة فهى من الرخـــام الابيض وقد حفلت جدران المسجـــد بفنون هندسية متناسقة وحفرت عليها اللوحات القرآنية الجليلة والمذهبـــة بينما علقت لوحـــات أخـــرى بيـــن كل نافذة وأخـــرى من نوافذ المسجد الكثيرة ذات الطراز العربى المستطيل والمصنوعة هى والابـــواب من خشب الساج العظيم وفى جدران المسجـــد خزانات مصنوعة من خشب الساج وقد أعدت كخزائن للكتب فى وضع هندسى رائع بحيث تعتبر مكتبة كبيرة

فاذا تقدمت على السجاد ذى اللون الاخضر الهـــادىء الذى فرشـــت أرض المسجد به وخطوت نحـــو المحراب أخذت بلبك الاضواء غيـــر المباشرة التى تحيط بالمحراب وتوحى للنفس بكل معانى الاجلال والرهبـــة وخاصة عندما تنعكس هذه الاضواء على حائط المحراب الذى غطى بطبقة من المربعات الصغيرة ذات اللـــون الذهبى ويحف بالمحراب شرفتان تطل نافـــذة كل منهما على المصلين واليمين منهما شرفة فسيحة يقف عليها خطيب المسجد .

أما الشرفة الثانية فعبارة عن غرفة صغيرة مزودة بتليفـــون وبكافـــة



وهذا منظر آخر للمسجد عن قرب

الاستعدادات اللازمة لنقل الاذاعـــة والتلفزيون شعائر الصلاة والندوات والحفلات الدينية فـــى المناسبات المختلفة . وبلغت نفقات بناء المسجد واحدا وسبعين ألف دينار .



القادياني والقاديانية

تأليف : أبو الحسن الندوي

عرض وتحليل : عبد المعطي بيومي

منذ أن ظهر القاديانى ، والكتابات الاسلامية والعلماء المسلمون ، فى ملاحظة دائمة له ، يكشفون أمره ويظهرون زيفه أمام الناس .

ومن أقدر الذين كتبوا عنه ، الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه « القاديانى والقاديانية » دراسة وتحليل ، والذى نشرته الدار السعودية .

وفى هذه الصفحات سنقف بالعرض والتحليل لكتاب الاستاذ الندوى ، الذى وضعه — وهو الهندى — بأسلوب عربى ، سهل واضح العبارة ، سليم المنهج .

وقد قسمه على أربعة أبواب : —

١) عن الميرزا غلام أحمد

٢) تطور فكرة القاديانية .

٣) القاديانى فى الميزان .

٤) القاديانية فى الميزان .

فالكتاب كما نرى يحتوى على جانبين :—

● جانب تاريخى يتضمن التحليل التاريخى المفصل والامين ، لحياة الميرزا غـلام أحمد كما يتضمن رصـد التطورات التى مرت بها فكـرة القاديانية .

● جانب نقدى .. ويضمنه الشيخ أبو الحسن تقييما صحيحا يعتمد على وقائع التاريخ للقاديانى والقاديانية .

ومع أسلوبه المشرق ندلف الى الباب الاول من كتاب أبى الحسن ، وهذا الباب عن الشخصيات الاساسية وعصرها وبيئتها ، وهو ثلاثـة فصول ..

ففى الفصل الاول : يجمل الكاتب حالة القرن التاسع عشر الميلادى ، وهو القرن الذى اشتد فيه عنف الصدام بين الحضارة المسيحية وحضـارة الاسلام ، وفى هـذا الصدام غلب العلماء المسلمون على القسس وأبانوا حجج الاسلام ، لكن المسلمين لم ينجوا من القلق الـذى صاحب هـذا الصراع ، ومن الاستعمار الذى غذى هذا القلق بسيطرته حيث كانت الجولة للقـوة لا للحجـة .

وكانت البنجاب أكبر مواقع القلق فى هـذا القرن ، الذى ما أوشك على الانتهاء حتى ظهر الميرزا غلام أحمد القاديانى .

فمن هو الميرزا غـلام أحمد هـذا ؟..

هذا ما يجيب عنه الفصل الثانى من الكتاب .

ويقول المؤلف فى هذا الفصل انه لا يعتمد فى نسـب الميرزا غـلام وعائلته غير مصادر الميرزا نفسه ، ومن هذه المصادر يتبين أنه انحدر من اسرة هى من أخلص الاسر للانجليز ، ويقول الميرزا ذاتـه « لقد أقرت الحكومة بأن أسرتى فى مقدمة الاسر التى عـرفت فى الهنـد بالنصح والاخلاص للحكومة الانجليزية ... وقد قدم والدى فرقة مؤلفة من ٥٠ فارسا لمساعدة الحكومة الانجليزية فى ثورة عام ١٨٥٧ ، وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة ، وكان أخى الاكبر « غلام قادر » بجوار الانجليز على جبهة من جبهات حرب الثورة » .

ولد الميرزا سنة ١٨٣٩ أو ١٨٤٠ فى قاديان ، وتلقى بعض العلوم الدينية والفلسفية والادبية والطب ، ثم عمل موظفا صغيرا بمبلغ شهرى قدره ١٥ روبية ، وكان أول أمره من قلة الفطنة بحيث لم يكن — كما يقول نجله الاوسط ميرزا بشير أحمد — يميز بين فردتى الحذاء اليمنى واليسرى حتى اضطر الى وضع علامة عليها بالحبر وكان يخطىء رغم ذلك . وكانت حياته مليئة بالطرائف . من ذلك :

● تحديه العالم بأنه قد أوحى اليه أنه سيتزوج فتاة اسمها « محمدى بيكم » وان ذلك أمر إلهى لا مرد له ، ولكن الفتاة تزوجت شابا آخر وعاشا بعد وفاته أعواما طويلة .

● ومن ذلك انه تحدى عام ١٩٠٧ العالم المشهور ثناء الله الامرتسرى بأن الكاذب المفترى من الرجلين سيموت قبل الآخر بالهيضة أو الطاعون وفعلا مات الميرزا غلام نفسه قبل ثناء الله بأربعين عاما ومات — كما اعترف هو لصهره — بالهيضة الوبائية سنة ١٩٠٨ وخلفه الحكيم نور الدين البهيروى .

وفى الفصل الثالث يروى المؤلف قصة حياة هذا الحكيم نور الدين ، الذى يعتقد بعض الباحثين أنه صاحب الفكرة والتصميم فى الحركة القاديانية ، فيقول إن نور الدين ولد ١٨٤١ م فى بهيرة من مديرية شاه بور فى بنجاب ، وثابر على الدراسة حتى عمل طبيبا لامراء جمون ولكنه عزل ، وفيما كان فى جمون تعرف على الميرزا غلام أحمد ، الذى كان مقيما حينئذ فى سيالكوت فلما ألف الميرزا كتابه « براهين أحمدية » ألف نور الدين « تصديق براهين أحمدية » وظلا معا حتى تولى خلافة الميرزا ست سنوات الى أن سقط من فرسه واعتقل لسانه قبل أيام من وفاته فى مارس ١٩١٤ وكان نور الدين يرفض التقليد أولا الامر ثم دان لنزعة اخضاع القرآن والدين للعلوم الطبيعية ، وتأويل المعجزات والحقائق .

وبعد أن ينتهى المؤلف من بحث الظروف التى ولد فيها الميرزا وحياته وحياة رفيقه نور الدين ، ينتقل الى الباب الثانى عن تطور فكرة القاديانية فيقف فى الفصل الاول مع هذه الفكرة وهى فى دور التأليف والمناظرة ، وينصب بحث المؤلف فى هذا الفصل على كتاب « براهين أحمدية » .

ويعيد المؤلف هنا الى الاذهان أن العصر كان عصر مجادلة فى العقائد وهجوم على الاسلام ، ولذلك فان الميرزا نهض لاستغلال ذلك ، وأعلن على الناس عزمه على تأليف كتاب للدفاع عن الاسلام بثلاثمائة دليل ، وانه تلقى الوحى بتأليفه ، وتحدى أن يأتى أحد بمثل هذا الكتاب ويثبت حجة دينه بالدلائل التى تكافىء دلائله فى هذا الكتاب أو تبلغ نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها ، والذى يقدم هذا الكتاب الذى يحكم له ثلاثة حكام عادلون يقدم له عشرة آلاف روبية ، وطلب من المسلمين أن يتبرعوا بنشاط وحماسة لتكاليف طبع الكتاب العظيم الذى هو انتصار للاسلام .

وأخيرا تمخضت الدعاية الكبرى عن أربعة أجزاء فقط ظهر بها الكتاب واستمر يؤلف فيها أربع سنوات ١٨٨٠ — ١٨٨٤ وتوقف فلم يؤلف الجزء الخامس الا سنة ١٩٠٥ بعد أن توفى كثير من الذين اشتركوا فى الكتاب .

والكتاب ملىء بادعاء الالهامات المختلقة حتى لقد نزل عليه الهامان بالانجليزية .

ومن أظهر ما فى هذا الكتاب أنه يدعو المسلمين الى موادعة الانجليز وتحريم جهادهم وضرورة الموالاة لهم ، ثم هو لا يتضمن دليلا واحدا كاملا من الثلاثمائة التى وعد بها .

وينتقل المؤلف الى الفصل الثانى متعقبا تطور القاديانى من التأليف

والنشر والدعاية لنفسه ، الى دعواه انه المسيح الموعود ، وذلك على الرغم من انه أوضح فى كتابه انه لا حاجة للامة الى وحى جديد ، ولقد كان ادعاؤه بأنه المسيح اجابة لاقتراح اقترحه عليه رفيقه الحكيم نور الدين الذى راح يملى عليه أوصاف المسيح ويحل معه المشكلات التى تعترضه فى هذا السبيل ، مثل حله لمشكلة احاديث نزول المسيح فى دمشق مع أنه فى قاديان .

ولكن الميرزا غلام أحمد لا يكتفى بادعاء أنه يمثل المسيح بل ينتقل من ذلك — كما بين الفصل الثالث — الى ادعاء النبوة ذاتها ، وقد مهد لها كثيرا من قبل فى كتبه حتى أعلنها صريحة فى يوم جمعة سنة ١٩٠٠ عندما وقف الشيخ عبد الكريم — الرجل الثالث فى القاديانية بعد الميرزا والحكيم نور الدين — يقول للناس فى خطبة الجمعة إن الميرزا غلام أحمد رسول من الله وأن من لا يؤمن به يفرق بين الرسل ويخالف قول الله تعالى « لا نفرق بين أحد من رسله » فلما تصايح الناس وعلا نقاش المنكرين مع الخطيب خرج الميرزا من بيته وهو يقول « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » وكان يرى أن نبوته مستقلة يستطيع أن ينسخ زيف القرآن وأن من لم يتبعه كان كافرا وأنه يجوز أن يكون فوق الانبياء جميعا وان الله أوحى اليه « اسمع ولدى » « يحمدك الله من عرشه ويمشى اليك » ويذكر أن الله أراد مرة أن يوقع على صحيفة فنضح الحبر الآخر من القلم على قميص الميرزا .

والى هنا يكون الشيخ أبو الحسن الندوى قد انتهى من الجانب التاريخى فى الكتاب حيث عرض كما رأينا — من مؤلفات القاديانية ذاتها — ومن مؤلفات الميرزا وابنه على وجه خاص — لينتقل بعد ذلك الى الجانب النقدى .

وفى هذا الجانب يبدأ الباب الثالث عن القاديانى فى الميزان حيث يخصص الفصل الاول عن حياة الميرزا ومعيشته وعن التحول الكبير الذى جرى على هذه الحياة .

ظل خمسا وعشرين سنة فى شظف وخمول وضيق عيش ، اذا به يتحول الى بذخ باذخ وحياة مترفة لا تشبه فى شىء حياة الدعاة الحقيقيين الذين يشغلهم أمر الدعوة عن ترف الحياة وبذخها حتى لقد اعترض بعض أتباعه على ذلك التبذير فى أموال المسلمين وليست أمواله ، منهم الخواجة كمال الدين الذى قال « ان من الظلم المبين أن هذا المال الذى يكتسبه فقراء المسلمين بكد اليمين وعرق الجبين ويشحون به على نفوسهم وبطونهم لينفق فى المصلحة الاجتماعية يضيع فى الشهوات والاغراض » .

ويذكر المؤلف أن هذا البذخ فى « قاديان » تفاقم بعد موت الميرزا

وانتقال الخلافــة القاديانية الى ولده الميرزا بشير الدين ، حتى وصلت روايات هذا المجون الى ما يفوق ألف ليلة وليلة وقد وصف هذه الحــال الاستاذ عبد الرحمن المصرى الذى كان مــن كبار القاديانية بحيث كان يستخلفه الميرزا بشير فى الصلاة قال « ان الخليفــة الحالى الميرزا بشير الدين محمود من كبار الفساق انه يتصيد الفتيات فى ستر من الزعامة الدينية ، وله وكلاء وسماسرة من الرجال والنساء يحضرون لــه الفتيات الغافــلات والشباب الغر ، وقد أسس لهذا الغرض ناديا سريا من أعضائه الرجال والنساء يفسق فيه » .

وفى الفصل الثانى يقدم الشيخ ابو الحسن دليلا آخر على كــذب القاديانى فى ادعائه بتواطئه مع الانجليز الغزاة الذين قوضوا مملكــة الاسلام فى الهند وقوضوا قواعد الاسلام ذاته ، وافنائه بتحريم الجهــاد وعزلته عن حركات التجديد فى العالم الاسلامى لدرجة وصفهــا الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد اقبال فى قوله « انه ــ أى الميرزا ــ يعتقد ان بهاء الاسلام ومجده فى حياة العبودية وأن سعادة المسلمين فى أن لا يزالوا محكومين أذلاء انه كان يعد حكومة الاجانب رحمة إلهية لقد رقص الرجال حول الكنيسة ومضى لسبيله » .

ويقدم المؤلف دليلا ثالثا فى الفصل الثالث من هذا الباب على كذب القاديانى ببذاءة القاديانى فى المناقشة وسلاطة لسانه واقزاعه ، مع أن المقرر فى حياة الانبياء عفــة اللسان وسلامة المنطق . عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذىء » .

وكدليل رابع وطريف يعرض المؤلف نموذجا من التحديات التى تحدى عليها الميرزا ولم يتحقق كتحديه بزواج « محمدى بيكم » بقوله « ولقد الهمنى الله .. ويسئلونك أحق هو قل اى وربى انــه لحق وما أنتم بمعجزين زوجناكها لا مبدل لكلماتى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ومع ذلك تزوجت الفتاة بشاب آخر كما قلنا وعاشا معا بعد وفاته بزمن .

وفى الباب الرابع والاخير الذى خصصه المؤلف للقاديانية فى الميزان ذكر فى الفصل الاول أن القاديانية ليست فرقة اسلامية وانما هى ديانة خاصة مستقلة وزائفة تماما عن الاسلام بل هى تزاحم الاسلام فى شعائره ومقدساته فهى فرقة خارجة عن الاسلام خروجا كاملا ومن هنا كان اهتمام الهنادك وترحيبهم بها .

وليتها كانت ديانة خارجة عن الاسلام وكفى ، اذن لكانت اضرارها على متبعيها وحدهم بل هى ثورة على النبوة المحمدية ومنافسة كما بين المؤلف ذلك فى الفصل الثانى ثم هى تؤدى الى تفريق كلمة المسلمين وانهاء ارتباطهم بشخصية محمد صلى الله عليه وسلم ثم هى تفتح المجال للتنبؤات الكاذبــــة .

ويرى الشيخ ابو الحسن الندوى أن القاديانية التى يتزعمها الميرزا بشير الدين محمود صريحــة فى ادعاء النبوة للميرزا غلام أحمد لكن الفرع

(البقية ــ ص ٩٥)

توجيهات للحجــاج :



جلست ذات يوم أمام الكعبة المشرفة وأثر فى نفسى منظر الذين يطوفــون حولها ليل نهــار ، لا ينقطع الا عند الصلاة ثم ذلــك المنظر الذى يأخذ بالقلوب ـــ ساعة الصلاة والمصلون ملتفون حــول الكعبة ـــ قبلة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها جاءوا من كل فج عميق . لا فرق بين سيد ومسود ، وأبيض وأسود ، ولا تمييز بين هذا وذاك بــل الكل سواء ـــ يجمعهم علم واحد هو علم الاسلام ، وتدور فى مخيلتى الذكريات الخالدات من يوم أن أمر رب العباد خليله ابراهيم بالنداء الخــالد الــى يومنا هذا والى أن تقوم الساعة « واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نــذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » وما زال هذا الطواف قائما وما يزال الله حافظا لبيته العتيق الى أن تقوم الساعة ـــ وهذا المنظر يزداد روعة على مر الايام ونداء الخليل يتجدد بمرور الاعوام ، رغم مرور آلاف السنين ، ولم لا ؟ وهو أمر الله على لسان نبيه الكريم ـــ وأى قوة تقف أمام قوة الخالق الذى يقول للشىء كن فيكون .

وبينما أنا هائم فى هذه البحار من الذكريات ـــ وهذه المناظر التى تأخذ بالالباب اذا يكهل أخذ يتمتم بلغة لا أكاد أفهمها لم يكد يجد بجوارى

للدكتور محمد محمد أبو شوك
رئيس قسم الامراض الباطنية
بالمستشفى الاميرى
الكويت

دين اليسر والنظافة

فرجة من مكان حتى تهالك وجلس وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه ــ وخفت على الرجل أن يلفظ نفسه الأخير وهو يستوى بجوارى ــ وتركته يستريح بعض الوقت حتى اذا أحسست منه أنه يمكنه أن يتجاذب معى أطراف الحديث أخذت ألقى عليه بعض الاسئلة وهو يجيب بصعوبة ، وفهمت فى نهاية الامر أنه قدم من بلاد بعيدة وقطع المسافة بين بلده الى الحجاز فيما يقرب من ثلاثة أشهر سيرا على الاقدام ، وبمساعدة أهل الخير ، وكم قاسى الامرين وكم اشتدت عليه الامور ويعود فيقول (إن كل شىء بثوابه ولا بد لى أنى سأجازى أضعاف أضعاف من يأتى الى هنا بطرق سهلة ولا يقاسى من سفره) .

وبينما أنا أستقبل المرضى فى عرفات اذا بسيارة الاسعاف تحضر اثنين فى أشد الاعياء ــ قىء وشبه غيبوبة وهذيان ، ما هذا ؟ انهما وجدا وهما يصعدان جبل الرحمة من شدة الحر أثناء الظهيرة والحر على أشده ، لماذا ؟ ليكسبا أجرا عظيما ــ وتقبل حجتهما .

ثم هذه التى أتت من أقصى بلاد المسلمين وأفهمت أنه ليس أحسن للمرء من أن يذهب الى الحجاز ويموت هناك فى الاراضى المقدسة ، كانت جلدا على عظم وتعانى من داء الصدر « الدرن » وكم قلت لنفسى ما ذنب هذه وهى تحتضر وما ذنب أمثالها من النساء وأمثالها من الرجال سمعوا

هذا النصح وجاءوا ليقاسوا هول السفر ويلقوا بأنفسهم الى التهلكة ويقدموا على هذه المخاطرة يحضرون ليموتوا فى الاراضى المقدسة . ثم أقول لنفسى كم من عدوى تنتشر أيام الحج من هؤلاء المرضى ومن حاملى ميكروب لامراض أخرى .

ومن عجب أنك تشاهد حاجا لا يعى ما يفعل ، وتنتابه نوبات جنون ويقوم بأعمال تضره وتضر بحجاج آخرين . بالله لماذا حضر هذا الى الاراضى المقدسة ، فتجد الرد لعله يشفى من المرض الذى الم به وتحل عليه البركات ويذهب عنه جنونه .

وصور أخرى تتراءى أمام عينى وأفحصها — وارى العجب وأحمد الله كيف وصل هؤلاء الحجاج الى الارض الطاهرة ، وقد لاقوا ما لاقوا من مشقة السفر ، هذا يعانى من هبوط فى القلب وذاك من ارتفاع شديد فى ضغط الدم ، وتلك من سمنة مفرطة أثرت على جميع مفاصلها وجعلتها قعيدة فى عقر دارها ، ثم هذا الذى يعانى من مرض صدرى مزمن لا يكاد ينتقل خطوات حتى يلهث من ضيق النفس ، وغير ذلك من صور لا تنتهى .

ثم أمام كل هذه الصور أذكر النداء نداء الخليل « واذن فى الناس بالحج » وحديث المصطفى وهو يشرع ويضع العمد الخمسة للاسلام « بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » ومن الاستطاعة استطاعة المال واستطاعة الصحة وتحمل مشقة السفر ، فمن كان مريضا أو ضعيفا بسبب كبر سنه أو شيخوخته ولا يمكنه أن يتحمل السفر عد من الذين لا يستطيعون . ثم ما هذا التشدد فى الدين وديننا يسر ، وما شاد الدين أحد الا غلبه ، فالبحث عن المتاعب ، والاجهاد وتسلق الجبال فى أشد أوقات الحر والسير المسافات الطويلة لارهاق الجسم ، وتعذيب البن بشتى الوسائل ، وعدم الاكل والمبيت فى الخارج فى شدة البرد القارس ، كلها ضارة بالجسم ، وحاشا لديننا أن يأمرنا بهذا أو يقبل منا ذلك ، وكان رسولنا الكريم يختار من الشىء أيسره ..

فأنى لهؤلاء بهذه الاعمال التى يقومون بها ، وأرجو من القائمين على الاسلام فى شتى البلاد الاسلامية أن يوفقوا فى اقناع حجاجهم فى أن يحافظوا على أبدانهم اثناء السفر — لا أن يعرضوها للأخطار طمعا فى الغفران ، وأن يأخذوا من الامور أيسرها وديننا الذى يحث دائما على النظافة فى قوله تعالى « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وقوله « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » والقول المأثور « النظافة من الايمان » كلها دفع قوى الى حيث تكون النظافة فى الملبس والمأكل والمشرب .

ففى الملبس أنه والله ليسىء الى المسلم والاسلام أن يرتدى الحاج ملبسا ممزقا أو تعلوه الاوساخ فيأنف منه من يراه أو يجلس بجواره ،

ويتحاشاه القريب والبعيد ، ووالله ما كان اللباس القذر رمزا للتقشف كما يدعى بعض الناس ، فديننا دين نظافة ، وأما ما دون ذلك فقد دخل على الاسلام لتشويه سمعته والنيل منه .

والنظافة فى المأكل يجب أن تكون رائد كل حاج فلا يأكل الا كل نظيف فكم من حاج تعرض للتسمم الغذائى لاكله طعاما غير صحى ويا حبذا لو تخير من الطعام أطيبه — وأسهله هضما ويكون فاكهة تغسل غسلا جيدا ويتحاشا ملء معدته فيسلم من الارتباكات المعدية والمعوية أثناء الحج والتى يعانى منها الكثيرون .

ويجب أن تذبح الضحية فى مكان الذبح لا أن ينحرها بجوار مسكنه ، فتجر عليه من الامراض والروائح الكريهة مالا يحمد عقباه وتكون سببا فى تفشى الامراض المعدية التى طالما تكثر زمن الحج لهذا السبب .

والنظافة فى الشرب وعدم تلوث الماء من واجب كل حاج حفظا على صحته وصحة الحجيج — فليس من الاسلام أن يحمل الماء أو يوضع فى أوان قذرة ، ويدعى ساقيها أنها بركة ولا تضر — ويأخذها الحاج بعد ذلك فى أوان غير مضمونة النظافة ، ويحملها مسافات طويلة الى بلده يهدى منها الاصحاب والاحباب ..

ثم يجىء دور النصيحة لنشر الوعى الصحى بين الحجاج ولكى يحافظ الحاج على صحته يجب أن يتبع القوانين الصحية فيطعم ضد الامراض السارية وهى الجدرى والكوليرا قبل سفره ثم أنه اذا كان مريضا لا بد وأن يستمر فى علاجه والا تعرض لمضاعفات المرض الذى يعانى منه .

ثم ليدفع كل حاج زميله بالتى هى أحسن ليبتعد عن كل ما يسىء الى صحته وصحة الحجيج . فلا يغالى فى أن يشق على نفسه وعلى أصحابه مقنعا اياهم بحسن الثواب وزيادة الجزاء . فكم رأيت من الحجاج المسنين يتبعون أناسا يحثونهم على تعرضهم للمشاق ، بل وللهلكة لكى يكون حجهم مبرورا وذنبهم مغفورا .

وما بالنا ونحن فى زمن العلم والتقدم لا نطبق ذلك فى أيام الحج فنجد البعض يضربون بالقوانين الصحية عرض الحائط ، ولا رادع يردعهم ولا وازع يمنعهم من أن يقوموا بهذه الاعمال التى تسىء الى سمعة الحج الصحية — فترى بعض الناس يرمون بالاوساخ بجوار مكان سكناهم ، ويبصقون ويتبرزون أنى وجدوا الى ذلك سبيلا غير مقيدين بالاماكن المخصصة لذلك . ثم هؤلاء الذين يتكدسون فى حجرات ضيقة ليساعدوا على انتشار العدوى فيما بينهم .

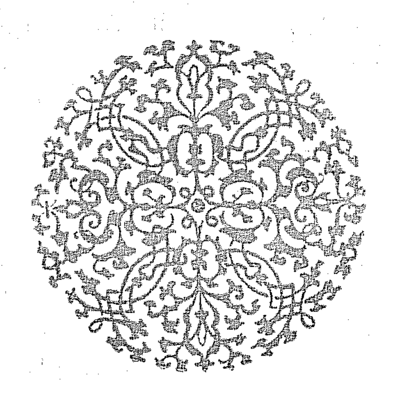
ثم من لى بهؤلاء الذين يدعون الطب ويعالجون الناس بالوصفات التى تكون فى بعض الاحوال ضارة ، أو يهون المرض على حاج ويحول دونه والذهاب الى الطبيب أو المستشفى للعلاج .

ثم هؤلاء المرضى من الجاليات الاسلامية المختلفة الذين يترددون على

العيادات والمستشفيات ، ولا يمكنهم أن يفصحوا عما بهم . ويبقى الطبيب فى حيرة من أمره وأمرهم . ويا حبذا لو كان معهم دليل يعرف لغة كل جالية ويعرف العربية حتى يتسنى علاجهم على الوجه الاكمل .

وكم تمنيت تكاتف جميع الحجاج من كل بلاد المسلمين على جعلهم الحج فى المكان الاسمى الذى يليق بـــه ، سواء فى ذلك الناحية الروحية والناحية الصحية ــ والثقافية ــ ويتناول وجهات النظر ، وما يدور فى البلاد الاسلامية من أحداث والمساهمة فى كل اصلاح . بذلك نكون قد قمنا ببعض واجبنا نحو هذا الركن الاسلامى المتين ــ ونكون قد جنينا بعض ثماره ، والتى من الممكن أن تتكاثر وتتكاثر بمرور السنين ويعم نفعها على المسلمين فى أنحاء العالم . وبذلـــك نكون قد ربطنا أجزاء هذا العـــالم الاسلامى المشتت بجهود كل المسلمين وبازدياد وعيهم فى كل مجالات الحياة ونعيد للاسلام مجده ، ولا ندع الفرصة لمن يتقولون عليه ويفترون ، من أنه دين التأخر وهو والله دين التقدم والعلم والازدهار ، وسيبقى نوره ساطعا يزهو بتفهمنا له والرجوع اليه ــ « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا » . « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » ..

هذه بعض خواطر وصور تتراءى أمام ناظرى وأنا فى بيت الله الحرام ــ أرجو من كل مسلم غيور على دينه أن يرعاها ، وأتمنى لكل الشـــعوب والحكومات الاسلامية أن تضعها نصب أعين حجاجها حتى تقوم بهذا الركن المتين خير قيام .



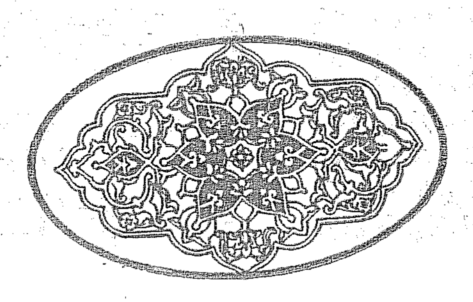
اللاهورى من القاديانية الذى يتزعمه محمد على صاحب ترجمة القرآن أخبث وأشد تعقيدا لانها تلقب الميرزا أحمد بمجدد القرن الرابع عشر ومع ذلك تعتقد أنه المسيح الموعود وتلحد فى التأويل وتحرف تفسير القرآن عن مواضعه ويعرض المؤلف نماذج من هذا التفسير مثل تفسيره « فألقوا حبالهم وعصيهم » بأنهم لم يلقوا حبالا ولا عصيا بل انهم بذلوا غاية ما أمكنهم من حيل .

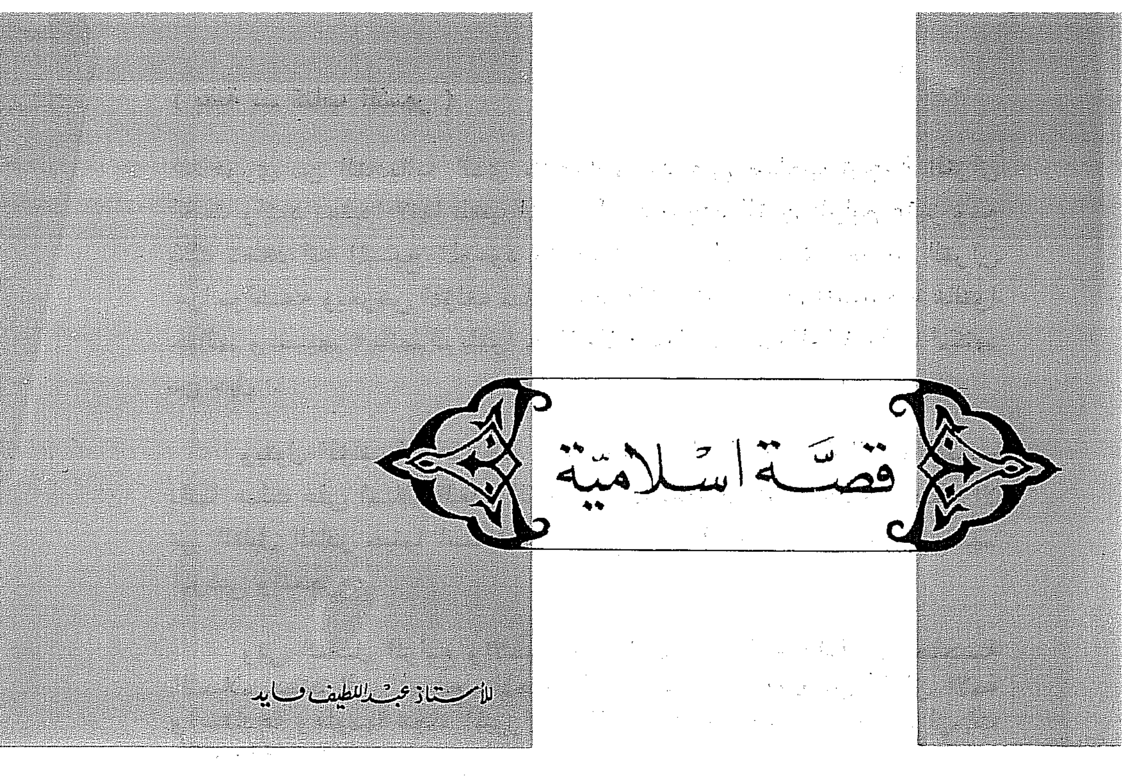
ويقول المؤلف ان هذا الفرع بالذات لجأ الى الدعاية الكاذبة والتهريج بانها عملت على اسلام العدد الكبير من المسيحيين ولكن ذلك لم يحدث الا فى القليل النادر حينما استغلت هذه الجمعية اسلام بعض الناس ومنهم المرضى والعجزة .

وفى الفصل الرابع والاخير يودعنا المؤلف بكلمة عامة عن حاجـــة الاسلام حينئذ الى المصلح والمجدد الـــذى يقيم ما أعوج من أخلاق الامة واعتقادها وعلومها فجاء الميرزا غـــلام أحمد ليضيف أزمـــة الى أزمات واعوجاجا فوق اعوجاج .

وهكذا ينتهى كتاب الشيخ أبى الحسن الندوى ويبدو فيه أن المؤلف ركز فيه البحث على إبطال فكرة النبوة لميرزا غـــلام أحمد القاديانى وكان المؤلف بارعا حقا وواضح العبارة فى هذا الغرض وان كنت أرى أن القارىء كان ينتظر المبادىء التى دعا اليها النبى المزعوم مع ما دعا اليه من تحريم الجهاد ، وان كان عذر المؤلف على ما يبدو أنه هدم الاساس الذى تقوم عليه تلك المبادىء وهو ادعاء النبوة واذا بطل ادعاء النبوة بطل ما بنى على هذا الادعاء من آراء .

حسب المؤلف أنه قدم للقارىء العربى المسلم هذه الفكرة الواضحة عن القاديانية معتمدا على المصادر القاديانية ذاتها .





لم تكن من أجل الغنائم والمكاسب المادية تلك الحرب الضروس التى خاضها المسلمون على أرض فارس ، والتى انتهت فيها دولة الأكاسرة الى غير رجعة ، فقد ذهب المؤمنون بدين الله الحق الى هذه البلاد ، وفى قلوبهم يقين بأن هذه الحرب هى الفاصلة بالنسبة لهم وللعقيدة التى آمنوا بها خيرا وسعادة للبشرية جمعاء .. إذا انتصر الفرس دالت دولة الاسلام ولن تقوم لها قائمة ، واذا انتصروا هم فقد حطموا ملك الأكاسرة الجبابرة الى الأبد ، ومكنوا لصوت التوحيد من أن يرتفع عاليا فوق ايوان كسرى الذى بهر العالم بفخامته وأبهته ..

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يعرف الدولة يعرف لهذه الموقعة قدرها وما ينبغى أن يكون عليه الاستعداد لخوضها ، فقد سبق للمسلمين أن ذهبوا الى هذه البلاد منذ ثلاث سنوات فاتحين، واستطاعوا أن ينشروا الأمن فى رقعة كبيرة منها .. ولكن الفرس تجمعوا بعد أن اشتدت الفرقة بينهم ، ونبذوا خلافاتهم التى جعلتهم شيعا وأحزابا .. واختاروا الشاب ((يزدجرد)) الرجل الوحيد الباقى من سلالة ((كسرى أبرويز)) ليجلس على عرش أجداده ، يقودهم فيمتثلون ، ويأمرهم فيطيعون ويوجههم فلا يختلف اثنان فى الطريق الذى رسمه لهم .. وذلك حتى يثأروا لكرامتهم من المسلمين الذين فتحوا بلادهم ، ودخلوا اليها بدين بهر الناس فتركوا دياناتهم اليه ، وأظهروا على أرضها بسالة أذهلت قلوب الشجعان فحطموا الأسطورة القديمة عن دولة الفرس التى لا تقهر كما يحطمون الآن الأسطورة القديمة عن دولة الروم التى لا تنهزم ، وقد كان العالم



قسمة بينهما يختلفان عليه ويتفقان .
عندما ترامت الأنباء الى عمر بهذا الاستعداد ، وأن مناوشات الفرس للمسلمين هناك بدأت من جديد لم يتردد فى الاذن بمسير الجيش الاسلامى مرة أخرى الى فارس تحت امرة القائد العظيم « سعد بن أبى وقاص » ..

* * *

جيش الايمان الذاهب لتأديب الفرس لا يزيد عدده على أربعة آلاف فقط .. سيواجه هناك جيشا فارسيا مدربا على كل فنون القتال يزيد عدده على مائة وعشرين ألفا بين راجل وفارس ، تتقدمهم مجموعة كبيرة من راكبى الأفيال المدربة على القتال .. والأفيال فى جيوش الفرس قوة كبرى ضاربة لا يفوتها النصر فى أقسى المعارك ضراوة واستبسالا ..

ومع الأمر لجيش الايمان باتخاذ طريقه الى بلاد فارس أصدر أمير المؤمنين أمرا بالتعبئة العامة فى سائر الدولة الاسلامية يحشد للمعركة كل القوى التى تساعدها وتدعمها ويدعو كل قادر الى المشاركة فيها بما يملك ، ويحمل الأمر تكليفا الى عماله بالتنفيذ فورا وبلا ابطاء ..

انطلقت رسل أمير المؤمنين من المدينة الى كل الامارات والقبائل فى الدولة تحمل الى المسئولين فيها كتبه ، وفى كل منها عبارة موجزة واضحة صريحة تقول:
« لا تدعو أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى الا انتخبتموه ثم وجهتموه الى .. والعجل العجل » .

حتى الذين عرفوا بحسن النظر ودقة الرأى وصواب الحكم ممن يعيشون بعيدا عن المدينة ومقر الأمير

دخلوا فى هذا الأمر الهام والعظيم بالتعبئة العامة للمعركة الحاسمة الفاصلة ..

وقبل أن يصل جيش الآلاف الأربعة الى القادسية حيث الوقعة المرتقبة كانت الامداد قد بلغته من كل أطراف الدولة الاسلامية حتى بلغ عدده ستة وثلاثين ألفا ..

ومهما كان هذا العدد من الشجعان الصناديد والفرسان المغاوير فان قوتهم المادية تتضاءل كثيرا أمام قوة جيش الفرس بقيادة ((رستم)) عظيم جندهم وصانع انتصاراتهم على أمم كثيرة استذلها الفرس ، وحكموا فيها ، وسلبوا خيراتها ..

لكن المقياس المادى وان كان له اعتبار عند جيش المسلمين الا أنه لم يكن العامل الحاسم فى سائر حروبهم ، فكل المعارك التى خاضوها من قبل كان المقياس المادى فيها يرجح الميزان لصالح أعدائهم ، مع ذلك فالنتيجة كانت دائما فى جانب المؤمنين ذلك لأنهم يحملون فى قلوبهم ايمانا يحاربون به ، وعقيدة سادت كل تصرفاتهم ، فهانت أمامهم الشدائد ، وتبددت المحن ، وأقبلوا على الموت راضين ، فكتب الله لهم الحياة ، وأيدهم بنصره .

* * *

انفتاح على الحقيقة الكبرى فى دين التوحيد والعدالة هو الذى صنع هذا الايمان ، ورحلة طويلة من المعاناة والآيات مع النبى مكنت له من نفوس المؤمنين وقلوبهم .

لقد آمنوا بالنصر فى كل معركة خاضوها لأنهم آمنوا بأن قوتهم المادية لن تستطيع وحدها تحقيق النصر ، وبأن الله من وراء الاستعداد المؤمن ، وهم لم ينسوا يوم أن اغتروا بقوتهم وعددهم فى معارك واجهوا فيها الكفار فلقنهم صانع النصر دروسا يذكرونها ويعتبرون بنتائجها ..

ولقد سبقتهم بسنوات طويلة آمالهم العظيمة الى فتح بلاد فارس والسيطرة عليها ونشر دين الله على أرضها .. وتحولت هذه الآمال الى ايمان يفرض أرادة لن تقهر ، وليس دونها شىء الا الموت :

فهم يذكرون جيدا أن النبى حينما هاجر من مكة الى المدينة ، وتعقبه سرا فى الطريق ((سراقة بن مالك)) ليعود برأسه الى كفار مكة — وما حدث لسراقة فى وقت المواجهة وفرسه يكبو به على الارض ثلاث مرات ويوشك أن يقتله ، ثم يطلب العفو من النبى والأمان .. ويرى النبى بنقاء أحساسه مستقبل الايمان فى وجه سراقة ، فيقول له : ((يا سراقة ، كيف بك اذا تسورت بسوارى كسرى ..)) ويحسبها سراقة وقتئذ دعابة ثقيلة من النبى أو سخرية .. لكنهم آمنوا بأن هذا وعد من الله لنبيه بفتح بلاد كسرى ..

ويذكر المؤمنون كذلك وهم فى طريقهم الى تأديب فارس حينما اشتدت عليهم الحال فى غزوة الخندق والعدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، وأبصارهم زائغة ، وقلوبهم تكاد تخرج من أفواههم — يذكرون أن النبى وعدهم وهم يحفرون الخندق أن الله سيفتح عليهم بلاد الفرس وبلاد الروم ولم يؤثر فى عزيمتهم أنهم أصبحوا من الموت بمقدار رمية سهم ، بل آمنوا بأن الله سينصرهم على الرغم من هذه المحنة القاسية التى تأخذ عليهم كل طريق ، وما ظن واحد من المؤمنين أن وعد الله لهم بفتح بلاد الفرس وبلاد الروم كان تنجيما أو دعابة ، وانما هو وعد من الله لرسوله ، فرسول الله لا ينطق عن الهوى ...
ونصرهم الله يومئذ بالمطر الشديد

والريح العاتية ، وصرف عنهم اعداءهم ..

ويذكرون وهم فى طريقهم الى القادسية غير ذلك الكثير والكثير مما يقوى ايمانهم بالنصر ، ويؤكد فى نفوسهم أن الله محقق لهم وعده .

ليست هذه احلام يقظة تساور هؤلاء الجنود وهم فى طريقهم الى تاديب فارس ، وهى لم تساور خليفة المسلمين فى المدينة وجه الجيش لهذه المهمة فقد اعد الجميع انفسهم لملاقاة العدو ..

الخليفة فى المدينة يعيش معارك جنده يوما بيوم .. يبعثون اليه بالأنبياء ، ويبعث اليهم بالامداد والرجال .. ويقيم العدل بين اهليهم حتى لا يشغل أحد منهم على قومه العدو بشبهة ظلم تقع على قومه وذويه ..

والناس جميعا فى المدينة وكل اقطار الدولة يعيشون حياة المعركة .. ليس بينهم مترف استبدت به انانيته ، او صاحب مال حبسه عن اغراض الجهاد ، او مالك ابل او خيل لا يستاقها للمقاتلين يكرون بها على اعداء الله ..

وما كان الخليفة الذى بعثهم الى هذه المعركة الضارية العاتية القاسية ليسمح بترف او رهافة او نعيم ، يعيش فيه البعيدون عن صليل السيوف ، وصهيل الخيول ، ودماء الشهداء تسيل زكية طاهرة على ارض المعركة دفاعا عن امجاد الاسلام .. وهو القدوة بين الناس جميعا ..

الجنود الذاهبون يعلمون ذلك حق العلم ، ويعلمون ان الخليفة شديد فى الحكم ، لا تاخذه فى الحق لومة لائم .. لا يحابى ، ولا يتهاون ، ولا يفرط، ولا يضعف ..

ولا تزال فى آذانهم اصداء قوله عقب ان بايعوه خليفة : « انما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده ، فلينظر قائده .. حيث يقوده .. اما انا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق .. » ..

وليس بعيدا عن اذهانهم كلام آخر طيب ورقيق قاله للمقاتلين وهو يوجههم الى المعارك : « ولكم على ايها الناس خصال اذكرها لكم فخذونى بها :» ..

« لكم على الا اجتبى شيئا من خراجكم ولا ما افاء الله عليكم الا من وجهه .. ولكم على اذا وقع فى يدى الا يخرج منى الا فى حقه .. »

« ولكم على ان ازيد عطاياكم وارزاقكم ان شاء الله تعالى ، واسد ثغوركم .. »

« ولكم على الا القيكم فى المهالك ، ولا اجمركم فى ثغوركم » ..

« واذا غبتم فى البعوث فانا ابو العيال .. » ..

والخليفة لا يرد على احد عصيانا او تمردا ، فهم يطيعون الله ورسوله فيما يوجه اليهم من امر او يسدى من نصح .. لم يخرج فرد منهم على امر له ، ولم يتمرد على اجماع لأهل الراى والشورى ..

الدولة كلها كانها رجل واحد .. ليس فيها مظلوم او ظالم ، وليس فيها صاحب حق ضاع منه دون ان يرده عليه خليفة رسول الله ، وينتقم له ممن تسبب فى حبس هذا الحق عنه ..

كل الناس فى الدولة سواسية كاسنان المشط ، لا فضل لأحدهم على آخر بنسب او ثراء او قرابة من صاحب السلطة .. وانما الجميع امام كتاب الله وسنة رسوله واجماع الأمة سواء .

تقوى الله واداء الواجب هما اساس التمييز والتفضيل والتقديم .. من هذا الاسلوب الفاضل فى

الحياة كان من حق المسلمين ان يفكروا فى غزو الفرس مرة ثانية ، وكان من حقهم ايضا ان يطمعوا فى الانتصار على هذه الدولة القوية العاتية المتجبرة التى تملك السلاح الكثير يزلزلون الجبال الرواسى ..

* * *

على مشارف القادسية صف (سعد ابن ابى وقاص) جنوده وعباهم ، واقبلت عليه الامداد من كل امارات الدولة الاسلامية .. واوصاهم ، وامر الخطباء والشعراء بان يتحدثوا فيهم ، وان يشحذوا هممهم ويذكروهم بالايام العظيمة التى خاضوها من قبل وانتصروا فيها على اعداء الله ، وانهم اليوم امام عدو جسور ، لن ينتصروا عليه بالعدد او بالسلاح ، وانما بالايمان الذى يملأ قلوبهم وبتقوى الله التى تشد سواعدهم وهم يتدافعون على العدو ويضربون رقابه ..

وتقدم اصحاب رسول الله والذين جاهدوا معه صفوف الكتائب المؤمنة .

وعبر اليهم جيش ((رستم)) نهر دجلة ، وصف عسكره وجنده ، وجعل فى المقدمة القوة الضاربة الكبرى من الفيلة المدربة على القتال الشديد العاتى الذى لا رحمة فيه ..

وهدد عظيم جند فارس وتوعد :

ما هى الا جولة واحدة حتى ادفنكم ايها الأعراب تحت رمال القادسية ، وارسل الى دياركم من يزيل دولتكم هناك ، ويحكم فيكم ويقضى ..

لكن هذه التعبئة المحكمة وما تجشا به ((رستم)) من تهديد ووعيد لم يضعف من عزيمة المسلمين ..

ودارت المعركة حامية قاسية وشديدة .. بالنهار قتال ، وبالليل قتال ، وتدافع الرجال الصفوف من هنا وهناك حتى مرت اوقات لم يكن راصد المعركة يعرف فيها من المنتصر ومن المنهزم من الفريقين ..

حقيقة ان الفرس اشداء اقوياء .. كثير عددهم .. كثير سلاحهم .. والفيلة تؤدى مهمتها .. و ((رستم)) عظيم الجند وقائدهم فى كامل قوته ونشاطه ، يدير المعركة ويوجهها ويامر بالكر والعدو والضرب ، بينما امير جند المسلمين ((سعد بن ابى وقاص)) قد دهمه فجاة مرض شديد ارقده فوق منصة يشرف منها على المعركة ، ويصدر اوامره مع آهات الالم وانين التوجع ، وهزال الجسد العليل ..

لكن جيش الايمان صمد فى اليوم الاول صمودا باهرا ..

وفى اليوم الثانى كر على العدو ، فكشف صفوفه .. واختفت الفيلة من المعركة لان جيش الايمان فعل بها آخر نهار الأمس ما عطلها عن الاشتراك فى جولة اليوم .. واستمر القتال باسلا عظيما حتى منتصف الليل ..

وفى اليوم الثالث جمع الفرس صفوفهم ، واستماتوا قتالا ودفاعا ، واظهروا من البسالة والشجاعة ما يشهد لهم بانهم مقاتلون اكفاء .. الا ان المسلمين كانوا اكثر بسالة وشجاعة وكفاءة .. لكن ذلك لم يمنع من ان تكون الحرب سجالا بين الفريقين فى هذا اليوم ، حتى ان تقييم المعركة التى هدات آخر الليل لم يستطع ان يسجل الغلبة لاحد الفريقين على الآخر .

وكان لا بد من يوم رابع على ارض القادسية يتقاتل فيه الفريقان .

والمسلمون على الرغم مما وقع بهم احسوا بنصر الله فى قلوبهم ونفوسهم .. وخاضوا قتال هذا اليوم وامامهم خيار بين امرين لا ثالث لهما : اما ان ينتصروا على العدو ، او يموتوا شهداء العقيدة والحق ..

ولم يكد ينتصف النهار حتى نصر الله جنده ..

تفرقت صفوف الفرس من شــدة ضرب المسلمين فيهم ..

عمى الله بصائر الفرس حتــى صار بعضهم يضرب بعضا ..

عند فرار الفرس الى الضفــة الأخرى من نهر دجلة تحطم من تحت ارجلهم الجسر الذى يعبرون عليــه فتدافعوا الى النهر فغرق فيه نحــو ثلاثين الفا .

ومن قبل كل ذلك كان واحد من المسلمين قد انقض علــى ((رستم)) عظيم جند فارس ، وقتله بسيفه وهو يوشك ان يهرب ، ثم استولى علــى مقر قيادته ..

يسجل التاريخ هذه الأيام الاربعة باوصافها لتظل اعلاما مرفوعة خفاقة فى دنيا الجهاد والقتال دفاعــا عن الحق والعقيدة .. وغنم المسلمون من مخلفات المعركة اموالا كثيرة لم تكــن تخطر لهم على بال ، او يدركهـــا تصورهم ..

لكنهم لم يقبلوا الى هذه البـــلاد من اجل الغنائم والاموال يجمعونها بعد جولــة او جولات .. انما جاءوا لهدف آخر ، هو تاديب دولة طغت وتجبرت واعتدت ، ونقضت الأمن والأمان ، وتطلعت الى سابق عهدها لتستذل الشعوب وتحكم فيها بما يشاء لها الهوى .

وهم وان كانوا قد فرحوا بما حققوا على ارض القادسية فرحــة خففت مرض قائدهم ((سعد بن ابى وقاص)) فامامهم مهمة اكبر من هذه المهمــة ، هى ان يعبروا دجلة الى ((المدائن)) العاصمة الجديدة لبــلاد فارس ، ووارثة مجد بابل القديم ، ومقــر ((يزدجرد)) كسرى الفرس الجديد ، فان المدائن اذا انهارت فقد انهــار ملك فارس الى غير رجعة .. وهم لم ينسوا امرا وجهه ((عمـــر ابن الخطاب)) من المدينة الى ((سعد بن ابى وقاص)) قبل بداية المعركة يقول فيه : ((ان منحك الله ادبارهم فــلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم ((المدائن)) فانه خرابها ان شاء الله)) ..

* * *

لا بد قبل ذلك من جولة ثانية فــى سواد العراق ، هذا الذى تمرد اهله على حكم المسلمين بعد ان اقامــوا العدل بينهم عقب الفتح الأول منــذ ثلاثة اعوام .. ولا بــد من مطــاردة الفلول التى فرت من القادسية الــى بابل والى سائر مدن السواد ، لاعادة الحياة فى هذه المنطقة ايمانا وامنــا وسلاما ورخاء ..

وتم للمسلمين ما ارادوا من ذلك كله ..

بقى حصن واحد هو الطريق الــى المدائن ، وان كان يفصله عنها نهــر دجلة .. انــه ((بهرسير)) ذات الأسوار العالية المنيعة ، وقد تجمعت داخلها حامية قوية من جيش فارس وعلى راسها عدد غير قليل من خيرة قواده ..

حاصر ((سعد)) المدينة قرابة عام ونصف عام يضرب اسوارها بالمنجنيق وله فى كل يوم مع حاميتها القويــة مناوشات ..

وتطير انباء هذا الحصار مع كل مساء الى ((يزدجرد)) كسرى فارس، ويوقن ان المدينة ذات الأسوار المنيعة ستقع حتما فى ايدى المسلمين طــال الحصار او قصر ، فامر حاميتهـــا ان تخرج بليـــل لتتحصن بالمدائن ، وتدافع عنها حين يعبر المسلمـــون اليها ..

ويستولى المسلمون على (بهرسير) بعد ان فر جندها ..

وتبدو امامهم « المدائن » بكل عظمتها وجمالها على الشاطىء الثانى من « دجلة » نهر العراق المتدفق ..

* * *

كيف للمسلمين ان يعبروا النهر الى « المدائن » ؟!!

جسر العبور احرقته حامية « بهرسير » بعد ان نجت بحياتها فى قرار الليل ..

وسفن الفرس التى كانت تطفو على ماء النهر قريبا من « بهرسير » قد ذهبوا بها بعيدا حيث لا يدركها المسلمون ولا يتمكنون من العبور فوقها الى الضفة الأخرى .. ويبقى النهر بين الفريقين يمثل خط دفاع طبيعى عن مجد فارس فى شمال العراق بعد انهيارمجدها فى الجنوب ..

وماء النهر فى وقت فيضان .. تيار سريع دافق يلطم الشاطئين ..

واعماق دجلة تهدد بالابتلاع كل من تسول له نفسه عبور النهر بمغامرة جنونية ..

وفلول جند فارس تجمعوا على الضفة الأخرى يهددون بالرمى اية محاولة بائسة للعبور ، بعد ان افاقوا من الهزيمة النكراء ..

على الرغم من كل هذه العوائق لم يكن امام جيش الايمان خيار عن العبور ، فايوان كسرى الجديد الذى بناه اجداده من مائة عام يرتفع شامخا على الضفة الأخرى يخلب الأبصار بهاء ، وروعة ، وفن بناء ، وصنعة زخرفة وتشييد .. ونفوس الجند تهفو الى اقامة صلاة لله بين اعمدته الراسية العملاقة ، وان يرتفع من فوق سقفه صوت المنادى للصلاة مع وقت كل فريضة : « الله اكبر » « الله اكبر ... »

واختار المسلمون مكانا من النهر ضاقت المسافة فيه بين الشاطئين ، والعمق فيه لا يسمح الماء بان يغطى فارسا يعبر النهر سبحا بجواده ..

واعلن القائد « سعد بن ابى وقاص » نداء بين جنده الى عبور كتيبة تحمى الشاطىء من الناحية الأخرى ليامن بقية الجند العبور ، فاعلنوا جميعا الاجابة للنداء .. واختار القائد ستمائة من اهل النجدة على راسهم « عاصم بن عمر » الملقب بذى البأس .

وتقدم « ذو البأس » كتيبته الى لجة النهر يعبره سبحا بفرسه ، ودعا فى اول الأمر ستين جنديا ان يعبروا معه ..

كان الفرس على الشاطىء الآخر يرقبون والدهشة تكاد تخرج عيونهم من حدقها ، ونفوسهم تحدثهم : انس هؤلاء الذين يعبرون ام جن .. ليكونوا كما يشاءون انسا او جنا ، فلجة النهر مقبرتهم لا محالة .. وتقدموا الى الشاطىء يرمون بنبالهم وسهامهم الجند العابرين ..

ودارت المعركة بين جند وسط الماء لا يستطيعون الحركة ، او توجيه خيلهم هنا وهناك ، وبين جند آخرين يحاربون من فوق ارض صلبة تعدو خيلهم كما يريدون ، وتأتى لهم الأمداد كما يشاءون .

ويلهم الله قائد هذه الكتيبة الفدائية وسيلة النصر ، فيصدر امره من لجة النهر الى جنوده العابرين ليصوبوا رماحهم الى عيون خيول الفرس ويضربوا ..

وانطلقت رماح المسلمين الى عيون خيل الفرس فى تصويب دقيق تخترقها فتطير منها الشرر ، فتعدو على غير هدى ، وترمى فرسانها على الأرض ، وتدوسهم باقدامها ..

وتختل صفوف اعداء الله على الشاطىء الذى حسبوه امنا وسلاما .

وتعبر بقية الكتيبة سبحا بالخيول .
ويتفقد ((ذو الباس)) جنده فلا يغيب عنه واحد منهم ، او يرى فيه اصابة من نبل او رماح فارسية ..
ويكبر ((سعد بن ابي وقاص)) في جيش الايمان على الشاطيء فيتدافع ابطاله بخيولهم الى النهر يعبرون ويكبرون ، تغطى اصوات تكبيرهم على كل صياح الفرس وهم يفرون من ((المدائن)) ..
وتمت المعجزة !!
ودانت للمسلمين مدينة كسرى !!
وصدق الله وعده لرسوله وللمؤمنين ..
وارتفع نداء التوحيد من فوق الايوان المنيف ..

* * *

اخذ المسلمون يحصون غنائمهم من قصر الاكاسرة وسائر القصور التى كانت ملكا للجبابرة العتاة .. حوت هذه القصور من التحف والنفائس ما لم يكن يخطر للعرب على بال ، وتجمعت فيها فنون الفارسيين وفنون الشعوب التي حاربوها وهزموها ، وسلبوا من خيراتها الشيء الكثير ..
بين يدي ((سعد بن ابي وقاص)) القائد المظفر وضع جند الاسلام الغنائم والحلى والأمتعة ونفائس الأشياء مما حوت خزائن الاكاسرة وعظماء الفارسيين الذين تركوها من خلفهم او فروا يحملونها في الركب المنهزم لكبيرهم ((يزدجرد)) ..
كل جندى حمل ما ظفر به والقاه في اكوام امام قائد جيش الايمان المنتصر .. لم يختص احدهم نفسه بشيء .. ولم يختلس جوهرة ولا سلاحا ، ولا تحفة ، ولا اناء ، ولا ثوبا ، ولا طعاما .. فليس من اجل شيء من هذا المتاع جاء يحارب ويقاتل ، وانما اتى مؤمنا يحارب في سبيل الله ، ويقاتل في معركة ايقن انها الفاصلة بين الكفر والايمان ..
اربعة اخماس هذه الغنائم قسمت عدلا بين المقاتلين — كما تقضى شريعة الاسلام في غنائم الحروب — لكل بقدر ما بذل من جهد ونضال ...
وارتفعت بين الجند روح الايثار واخذ كل منهم يسند شرف القتال الضارى الاكبر الى زميله في الجيش لينال حظا من الغنائم اكثر منه واغلى ثمنا ... فاصاب كل منهم ما يماثل اثنى عشر الفا ..
وبمثل هذه الروح العالية تركوا من انصبتهم غنائم نفيسة لترسل مع الخمس الباقى الى المدينة .
وحمل هذا النصيب الى المدينة ، وفي مجلس عمر بن الخطاب خليفة المسلمين وضعته القوافل مع آخر انباء النصر ..
هذا تاج كسرى مرصعا بالماس والياقوت والزمرد ..
وجواهره وحليه التى كان يتزين بها في مناسبات الدولة واعيادها ..
وثيابه من الديباج المنسوج بالذهب تزينها انقى الجواهر واخلصها ..
وخرزاته ، ووشاحه ، وسيوفه ، ودروعه ..
وسيوف ودروع الملوك وكبار القواد من جميع الدول التى حاربها الفرس وانتصروا عليهم وكلها مرصعة بالجواهر محلاة بالذهب : ملء عيبتين كبيرتين فيهما من نادر اسلحة القياصرة وهرقل ، والنعمان بن المنذر ، وخاقان الترك ، وملوك آخرين .. شيء كثير يرتفع على الوصف ..
وبساط الاكاسرة الكبير .. طوله ستون ذراعا وعرضه ستون مثلها ، وهو غاية في الروعة والجمال ... قطعة واحدة من اغلى القطيف ،

صورت فيه طرق مملكة فارس ، وبدت فيه ارضها مذهبة تجرى خلالها صور الأنهار مرصعة بالدر ، وحافتـــه كالأرض المزروعة استطال فيهـا نبات الربيع على سوق من ذهب ، تدلت منه أوراق من الحرير بينها الثمر من الجواهر ..

وهذه صناديق كثيرة وسلال فيهـا التحف ، والأوانى ، والتماثيـــل ، واللطائف من الذهب والفضة المزدانة بالجواهر الثمينة ، وثياب من الحرير والدمقس ، مطرزة بخيوط الــذهب والفضـــة ، ومرصعـــة باللؤلــؤ والمرجــان ..

وغير ذلك كثير وكثير مما لم تر عيون العرب مثله نفاسة وفنا وقيمة غالية ..

استعرض امير المؤمنين هـــذه الغنائم وهو يفرزها صنوفا وانواعا ، ثم بكت عيناه !!

فياتيهم جوابه : ان الله يبتلى النـاس
فياتيهم جوابه : ان الله يبتلى النـاس
بالخير الكثير ماذا يفعلون به وفيمـا ينفقونه .. ولقد ابكتنى فرحتى بنصر الله وبامانة الجند فان قوما باعـوا لله أنفسهم وادوا هذا كلـه لأمناء مؤمنون » .

ويرد سامعوه : يا أمير المؤمنين .. الناس على دين ملوكهم .. وقـد ضربت للمسلمين المثل بأمانتك وعفتك وزهدك فسارت رعيتك على دربك ..

* * *

وشاهد عمر تدافع الناس ليـروا ثياب كسرى وما فى زينتها من عجب ، فامر بان يحمل اليه فرع شجرة طويل غليظ ، فغرسه فى الارض والبسه هذه الثياب ليراها كل الناس .. وبينما الناس يتفرجون راى عمر ابن الخطاب رجلا بدينا جسيما يتفرس فى الثياب وقد انبسطت اسارير وجهه .. ويعرفه عمر فيدعوه اليه .. انه « سراقة بن مالك » ..

وبيد عمر يرتدى سراقـة ثياب كسرى .. ويقول عمر وهـو يلبسه الثياب : هذا قميص كسرى ياسراقة ، وهذه سراويلـــه ، وذاك قباؤه ، ومنطقته ، ونعل قدميه ، وتاجه .. البس يا سراقة بن مالك ؟ ..

واكتملت الثياب على جسد سراقة، فقال له عمر : ادبر يا سراقة ، فادبر .. ثم قال له : اقبل يا سراقة ، فاقبل .. ثم قال عمر : « بخ بخ ، اعيرابى من بنى مدلج عليه قبـــاء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجـه وخفاه ! .. رب يوم يا سراقة بن مالك لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى كان شرفا لك ولقومك ! »

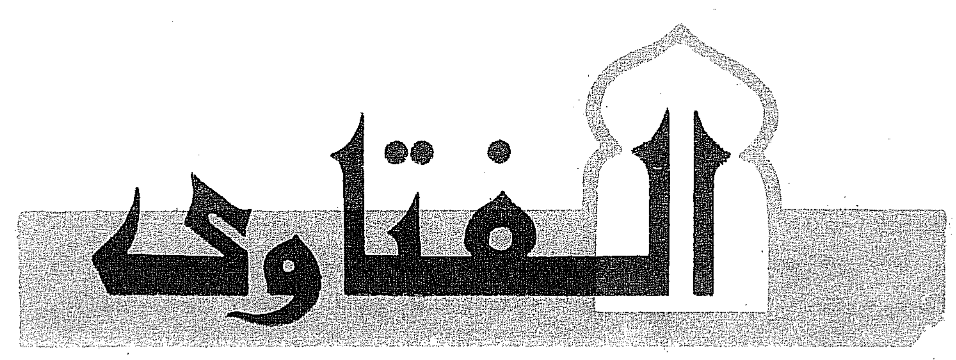
ويجيب سراقة : والله يا اميـر المؤمنين ما احسست بعد لهذه الثياب كلها بالفرحة ، فانى اذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى يوم تعقبته من مكة وهو فى طريقه مهاجرا الى المدينة وبعد ان فشلت مؤامرة الكفر ضده : « يا سراقة .. كيف بك اذا تسورت بسوارى كسرى » .. ثياب كسرى فوق جسدى .. ولكن اين السواران .. ترى يا امير المؤمنين انهما غابا من متاع كسرى ! ..

ويتفقد عمر السوارين بين الجواهر والحلى وهو يقول : صدق رسول الله .. فيجدهما ..

ويتهلل وجه عمر .. ويتهلل وجـه سراقة ..

ويكبر المسلمون الحاضرون ، وهم يرون سوارى كسرى فى يدى اعرابى فقير ..

* * *



الحج عن الغير

هل يجوز الانابة فى الحج الفرض والنفل ؟

الاجابة :

قد انعقد الاجماع على انه لا يجوز لمن قدر بنفسه على الحج المفروض أن ينيب عنه غيره فى أدائه ، بل يجب عليه ان يؤدى بنفسه ولو احج عنه غيره لا يسقط عنه الفرض لاستطاعته الحج وقت الانابة ، فكان تركه الحج بنفسه ايثارا للراحة لنفسه على أمر ربه ، وهو بهذا يستحق العقاب ، بخلاف الحج النفل فانه تقبل فيه الانابة ولو مع القدرة لأن باب النفل اوسع خلافا للشافعى ، وعن أحمد فيه روايتان .

اما من عجز عن اداء الحج بنفسه بعد القدرة عليه لمرض أو حبس ونحوهما فقد رخص الله تعالى له ان ينيب عنه غيره ، أو ينوب عنه غيره فى أدائه وهو مذهب الحنفية والجمهور ، فاذا أدى النائب الحج سقط الفرض عن المحجوج عنه فى ظاهر الرواية وهو مختار الامام السرخسى ومحققى المتأخرين ويشهد له ما رواه احمد والنسائى من « أن امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان فريضة الله فى الحج ادركت ابى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : ارأيت لو كان على ابيك دين أكنت قاضيته ؟ قالت : نعم ، قال : فدين الله احق أن يقضى » وبما رواه الجماعة عن ابن عباس قال : « جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع فقالت : يا رسول الله ان فريضة الله على عباده فى الحج ادركت ابى شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستوى على الراحلة فهل يقضى عنه أن أحج عنه ؟ قال : نعم » ففى الحديثين دليل على جواز الحج من الولد نيابة عن ابيه اذا كان ميئوسا من قدرته على الحج المفروض بنفسه . وقوله عليه الصلاة والسلام : نعم . معناه حجى عنه اى قضاء عنه ، فأفاد أن الحج يقع عن المحجوج عنه ، وظاهر ان هذا الحكم لا يختص بالخثعمية ولا بحج الولد عن والده لأن الأصل عدم الخصوص فى بيان الاحكام ولم يوجد ما يدل على التخصيص .

ويشترط لجواز النيابة عن العاجز فى الحج المفروض دوام العجز الى الموت ، لأن الحج فريضة العمر فيجب أن يستوعب العجز بقية العمر ليقع به اليأس عن الأداء بالبدن ، فاذا احج عنه غيره فى حال قيام العذر فان استمر العذر حتى مات ظهر أن الحجوقع مجزيا عنه لتحقق شرط الرخصة ، وأن زال العذر ظهر ان الحج لم يقع مجزيا عنه لانتفاء شرط الرخصة ووجب اعادته بنفسه . وأفاد

الكمال فى (الفتح) انه لا فرق فى لزوم الاعادة بزوال العذر بين ما يرجى من الاعذار زواله كالمرض والحبس وما لا يرجى كالعمى والزمانة . وفصل آخرون من فقهاء الحنفية فأجبوا الاعادة فى الاول دون الثانى ، ويشترط لجواز النيابة عن الغير أن تكون نفقة المأمور من مال الآمر وهى ما يحتاج اليه فى الحج من طعام وشراب وثياب احرام وركوب حسب المتعارف وأن ينوى النائب الحج عن الآمر . والأفضل عندنا أن يكون النائب قد أدى حجة الاسلام عن نفسه اذا تحقق وجوبها عليه ، ومن هذا يعلم انه يجوز للسائل أن ينيب عنه غيره فى الحج عنه ويقوم بنفقته وينوى الغير الحج عنه .

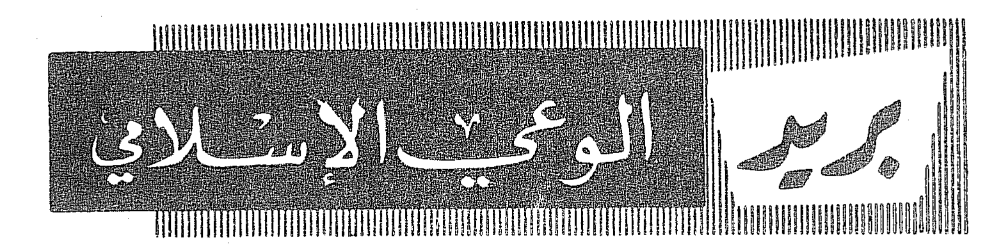
حج المرأة

هل يجوز سفر المرأة الى الحج بدون زوج أو محرم ؟

الاجابة :

ان الأئمة قد اختلفوا فى اشتراط الزوج أو المحرم فى السفر البعيد فذهب الحنفية الى انه يشترط فى سفر المرأة الى الحج شابة كانت أم عجوزا أن تكون مع زوج أو محرم بالغين عاقلين مأمونين ، فان لم يوجد لها زوج ولا محرم لا يجب عليها الحج ، لأنها تعد غير مستطيعة ، ولا يجوز لها هذا السفر ، والمحرم هو من لا يجوز له زواجها على التأبيد بسبب قرابة أو مصاهرة أو رضاع ، والسفر البعيد هنا ما كانت مسافته بالسير المعتاد ثلاثة أيام ولياليها ، وقيل يوما واحدا ، ولا عبرة بالسفر الآن بالطائرة ، بل المعتبر شرعا تقدير المسافة بالسير المعتاد . وذهب الشافعية الى انه لا يجب الحج على المرأة اذا لم تكن مع زوج أو محرم أو نسوة ثقات ، فاذا وجد اى واحد من هذه الثلاثة لزمها الحج ، وان لم تجد شيئا منها لم يجب عليها الحج — وهذا فى حج الفريضة . اما الحج النفل فالصحيح عندهم انه لا يجوز الا مع الزوج أو المحرم لعدم الضرورة فيه .

ونقل الشوكانى عن الامام أحمد انه لا يجب الحج على المرأة اذا لم تجد محرما ومثله الزوج وان اشتراط المحرم او الزوج فى الحج مذهب آل البيت وأبى حنيفة والشافعى فى أحد قوليه . ونقل عن مالك وأحمد فى رواية أخرى انه لا يشترط الزوج أو المحرم فى سفر الفريضة ، ورجح ابن حزم فى المحلى عدم وجوب الزوج أو المحرم فى سفر الحج ، فاذا لم تجد واحدا منهما تحج ولا شىء عليها . وقد فرق بعض الفقهاء بين الشابة والعجوز فاشترط وجود الزوج أو المحرم مع الشابة دون العجوز ، والجمهور على عدم الفرق بينهما .



كســـوة الكعبة

تكسى الكعبة كل عام بالثياب الفاخرة ، وتطرز هذه الكسوة بالقصب وتزين ببعض الآيات المناسبة من القرآن الكريم ، ولباب الكعبة ستارة من الحرير الموشى تعتبر آية فى الجمال والروعة ، فهل لهذه الكسوة اصل فى الاسلام .

عبد الرحمن على ـ مصر

كان الناس على عهد الجاهلية يكسون الكعبة تعظيما لبيت الله ، حتى جاء الاسلام فاقر كسوتها ، فقد ذكر الواقدى بن اسماعيل بن ابراهيم بن ابى حبيبة عن ابيه قال ـ كسي البيت فى الجاهلية بالانطاع ـ وهو جمع نطع وهو ما يفرش على الارض كالبساط ويصنع من الجلد الأحمر ـ ثم كساه رسول الله صلى الله عليه وسلم القباب اليمانية وكساه عمر وعثمان (القباطى) جمع قبطيه وهو الثوب من ثياب مصر رقيق ابيض ، ثم كساه الحجاج الديباج ـ الحرير .

وروى أن أول من كساها الحميرى وهو (تبع) .

واخرج الواقدى عن اسحاق بن ابى عبيد بن ابى جعفر محمد بن على قال :

كان الناس يهدون الى الكعبة كسوة ويهدون اليها البدن عليها الحبـرات فيبعث بالحبرات الى البيت كسوة . واخرج سعيد بن منصور ان عمر رضى الله عنه كان ينزع ثياب الكعبة فى كل سنة فيقسمها على الحجاج فيستظلون بها على السمر بمكة .

فكسوة البيت بفاخر الثياب سنة متبعة من قديم الزمان اقرها الاسلام وقام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والمسلمون بعده وهناك أوقاف فى كثير من البلاد الاسلامية وقفها المسلمون الخيرون على الكعبة المشرفة والبيت الكريم موضع تكريم المسلمين واعظامهم على توالى العصـور وتطييه وتجمـره بالعود عمل مشروع فقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت طيبوا البيت فان ذلك من تطهيره وطيب ابن الزبير جوف الكعبة كله ، وكان يجمر الكعبة كل يوم برطل من العود ويجمرها كل جمعة برطلين .

ثواب من يدفن بالمدينــة

يحرص بعض المسلمين ويتمنى على الله عز وجل أن يوافيه أجله فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يدفن فيها ، وأن الزائر للمدينة يرى كثيرا ممن تقدم بهم السن من مسلمى العالم مقيمون فيها انتظارا للأجل فهل لهذه البقعــة الطيبة خصوصية تمتاز بها على غيرها ، وهل لهذه المادة من أصل ؟

على حمزة ــ لبنــان

المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام قبة الاسلام ودار الايمان، وقد دعا لها رسول الله بالبركة وأخبر بأن الايمان يأرز اليها ، وكفى انها مثــوى رسول الله وصاحبيه وامهات المؤمنين والشهداء والصالحين ، وفى جيرة هؤلاء خير وأى خير والموت فى المدينة كان امنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد حقق الله له أمنيته فقد روى البخارى عن زيد بن أسامة عن أبيه ان عمر قال ــ اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى حرم رسولك صلى الله عليه وسلم .

وروى الطبرانى باسناد حسن عن امراة كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثقيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ــ من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فانه من مات بها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة .

ج. النصف ــ الكويت

المزاحمة على الحجر الأسود

نلاحظ اثناء الطواف بالكعبة أن كثيرا من الطائفين يتزاحمون على تقبيــل الحجر الأسود ، ويتدافعون بشدة ، وبين الطائفين المريض والمسن والمرأة ، فهل اذا طاف الانسان ولم يقبل الحجر ينقص ذلك من ثوابه ؟

محمد فقيه ــ وادموني

تقبيل الحجر الأسود عند بدء الطواف مع التكبير والتهليل ورفع اليديــن ووضعهما عليه سنة ان أمكن ذلك فى يسر وسهولة وعدم ايذاء ، فان لم يتمكــن الطائف من تقبيله واستلامه لشدة الزحام مثلا يكفيه أن يشير اليه من اقرب مكان يكون فيه .

وقد ورد فى تقبيل الحجر احاديث كثيرة قال ابن عمر استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر ، واستلمه ووضع شفتيه يبكى طويلا ، فاذا عمــر يبكى طويلا ، فقال يا عمر هنا تســكب العبرات ــ رواه الحاكم وقال صحيــح الاسناد .

وعن ابن عباس أن عمر اكب على الركن فقال ــ انى لأعلم انك حجر ، ولو لم أر حبيبى صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبلتك .

ويروى عن أبى الطفيل قال ــ رأيت رسول الله صلى الله عليه وســلم يطوف بالبيت ، ويستلم بمحجن معه ويقبل المحجن .

ولا بأس فى المزاحمة على الحجر بشرط ألا يكون فى ذلك ايذاء لأحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ــ يا أبا حفص انك رجل قوى فلا تزاحم على الركن فانك تؤذى الضعيف ، ولكن اذا وجدت خلوة فاستلم والا فكبر وامض .

بأقلام القراء

اسمى المراتب

من رسالة الاستاذ محمد العربي الخطابي

الذي يؤمن ايمان العجائز ، فلا يكلف نفسه مشقة التأمل والتفكر واستكناه الحقيقة يجد راحة النفس ، ويخلد الى الدعة ، وينام قرير العين ولسان حاله يقول : اللهم إني اومن بك ايمانا اعمى !

اما الذي يريد أن يؤمن ايمان اصحاب اليقين فانه يلازمه القلق ويصيبه الارق من فرط الحضور والتدبر وتقليب النظر . وهو لا يفتأ يدعو : اللهم أرني آيتك حتى يستقر ايماني على قرار مكين !

خاطب الحق سبحانه نبيه قائلا : « فاذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب » عند فراغك الى نفسك بالعبادة — وهذا جهد روحي — فالنصب ، اذن ، شرط اى اذا فرغت من سعيك فى تبليغ رسالة ربك — وهو جهد بدني وعقلي — فالنصب اذن شرط ملازم للعبادة المؤدية الى اليقين الذي لا سكينة بدونه .

الطريق الى الله دربان : درب يسير فيه السائح مفتح العينين لا يرى ابعد مما يقع عليه بصره . ودرب يسلكه السالك وهو مفتح القلب حاضر الوجدان فهو لا يفتأ يصيخ السمع ويرهف الحس ، يذهب بـه الاستغراق ابعد مداه فيخترق الحجب وتنكشف لـه اسرار الطريق .

من الناس من يعبد الله عن طاعة اصلها الخوف والطمع ، ومنهم من يعبده حبا في وجهه الكريم .

ومن الناس من يتوجه الى الله بالدعاء يساله العافية وسعة الرزق ، وكثرة الولد ، وطول العمر ، واقالة العثرات . فهو دائما يسال المزيد وقلما يعطى من ذاته ونفسه . يصيبه الهلع فى الضراء والبطر والجزع فى السراء .

ومنهم من يتوجـه الى الله بذاته وقلبه وسائر جوارحه ، يقدم بين يديه كل شيء ، لا يشتكي ولا يجزع ، ولا يلح ولا يسرف فى السؤال ، وان هو طلب فمن الله لله .

اسمى مراتب الايمان .. المحبة ، وخير المحبة ما كان فى صالح الجماعة قولا وفعلا . ولا محبة الا مع السعي والعمل وبـذل المجهود واجتماع الكلمة ، فذلك ، مع الايثار ، من وسائل التقرب الى الله ، والحصول على مرضاته .

دعـــــاء

رب ، يا من خذلتنا بذنوبنا ، وكسرت شوكتنا بما جنته يميننا ونبذتنا فى العراء لافراطنا وتفريطنا .

رب ، يا من نسيناك وقت طغياننا ، وندعوك عند ضعفنا واندحارنا ، امنحنا القدرة على تحمل عواقب اسرافنا .

وامنحنا الصبر على تجرع مرارة انهزامنا .

واصفح عنا حتى نكون جديرين بطلب النصر منك .

والهمنا الهدى حتى نسير فى السبيل التى رسمتها لنا

والثبات لنحافظ على الأرض الطيبة التى وهبتها لنا .

ولنسترجع ما ضيعناه منها .

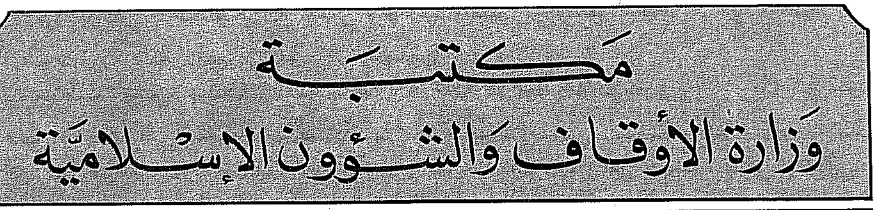
رب ، يا من كانت نصرتك حقا علينا ، ارزقنا القوة وحب العدل والحريـة وسواء القصد .

امنحنا العلم والعمل بـه ، والرزق وحسن التصرف .

امنحنا التكاثر واجتماع الصف .

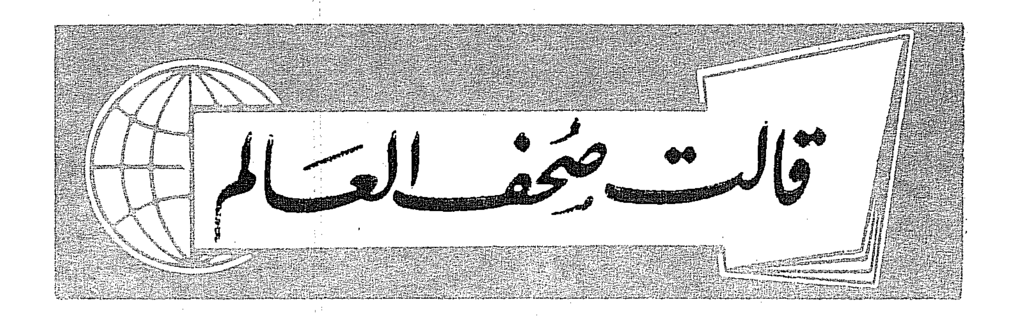
واهزم ، يا رب ، من ظلمنا وعادانا وظاهر على اخراجنا من ديارنا واغرانا بالعصيان والتنازع والتفرقة .

يا رب آميـــن !



تعلن وزارة الأوقاف والشؤون الاسلاميّة عن انتقال مكتبتها العامّة إلى مقرها الجديد بأوّل شارع فلسطين بجوار دار القرآن الكريم

.. يسّر المكتبة أن تستقبل المراجعين والباحثين



شبهات الماديين

من مقال بهذا العنوان تقول مجلة (التربية الاسلامية) :

من مناقشتك للماديين او قراءة كتاباتهم تراهم يتبجحون بمثل هذه العبارات : اذا كان الله موجودا فلماذا لا نراه ؟ اننا لا نرى الله ، اذن هو غير موجود . ان كل شيء لا نراه بأعيننا او نلمسه بأيدينا او نحسه باحدى حواسنا الخمس هو وهم من الأوهام .

وما أشبه ما يقول هؤلاء بما قال اليهود لنبيهم موسى عليه السلام :

— (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون) البقرة ٥٥

فلا عجب ان يتغلب على اليهود طبعهم المادى فيصنعوا عجلا من ذهب ويعبدوه ، ولا عجب كذلك أن يتصل الماديون باليهود على مدار التاريخ بأكثر من سبب .

ان هؤلاء الماديين قد نسوا — او تناسوا — حقيقة مهمة وهى ان عدم رؤية الشيء أو عدم تمكن احدى الحواس الخمس من الاحساس بوجود شيء معين لا يعنى ابدا عدم وجود ذلك الشيء ، وانما يعنى فقط عجز تلك الحواس عن الاحساس .

ان عدم رؤية الأعمى لضوء الشمس لا يجعل له الحق فى أن يمارى فى وجودها . ان كثيرا من الاشياء ، حتى فى عالمنا المادى لا تعرف بذاتها وانما بآثارها ، وكثيرة هى الاشياء التى دلت عليها آثارها .

ان هؤلاء الماديين يقولون انهم لا يؤمنون الا بما أدركته حواسهم يكذبهم واقعهم المادى ، فهم يؤمنون بأشياء كثيرة لم يدركوها بحواسهم وانما عرفوها من آثارها . اننا نسألهم عن اقرب الاشياء اليهم .. عن الحياة ، من راى منهم الحياة ؟ ما الحياة ، ما شكلها ، ما حجمها ؟ ما وزنها ؟ ما طعمها ؟ ما لونها ؟ هل ينكرون وجودها ، أم انهم يتعرفون عليها بآثارها .. — الحركة — الحس — النمو — التنفس — التكاثر .. الى غير ذلك من مميزات الحياة ..

كذلك نسألهم عن الجاذبية الأرضية ، هل راوها ؟ كيف اذن عرفوها ان لم يكن بآثارها ؟ .

ونسألهم عن المغناطيسية ، من رآها وأحس بها ؟ انهم عرفوها من جذب الحديد ، ولكن هل ان جذب الحديد هى المغناطيسية ، او هو أثر من آثارها ؟

ان الأجواء المحيطة بنا مليئة بالأمواج الكهرومغناطيسية ، فهل يشعر بها منا أحد ؟ فهل يحق لنا لعدم احساسنا بوجودها أن ننكر هذا الوجود ؟ وماذا نعمل حين يأتى البعض بجهاز ترانزستور صغير يحول لنا بعض هذه الامواج الى اصوات مسموعة ؟!

ان حواسنا قاصرة وعاجزة ، ولناخذ مثلا على ذلك حاسة البصر ، ان العين المجردة لا ترى الا فى حدود معينة ، فهى لا ترى فى الظلام ولا ترى الصغير جدا ولا البعيد جدا ، ولا تستطيع أن تخترق الجدر والحواجز لترى ما وراءها ، فانت لو سالك ماذا يوجد وراء هـذا الجدار ، وهو منك جد قريب لقلت علـى الفور : انى لا أرى ما وراءه ، ولا تقول : لا يوجد شىء .

البكتريا كائنات حية صغيرة جدا فهى لا ترى بالعين المجردة وانما تـرى بالمجهر ، والفايروس مخلوقات أصغر من البكتريا بكثير ، فهى لا ترى بالمجهر العادى وانما ترى بالمجهر الاليكترونى ، وهذه الكائنات لها دور مهم فى حياة البشر وفى حياة الحيوان والنبات .

والانسان لم يكن يراها ولا يشعر بوجودها قبل اختراع المجاهر على اختلاف أنواعها ، فهل لم يكن لهذه الكائنات وجود قبل اختراع هذه الآلات ، لمجـرد أن الانسان لم يكن يراها ؟

من من الماديين راى الذرة ، فضلا عن بروتوناتها واليكتروناتها . . والذرة لا ترى بأقوى المجاهر ، اذ هى من الصغر بحيث اننا لو وضعنا مائة مليون ذرة جنبا الى جنب لبلغ طولها بوصة واحدة فقط ، فلماذا يؤمن الماديون بوجود الذرة وهم لم يروها ولن يروها ؟ !

الشريعة الاسلامية هى اساس الحكم

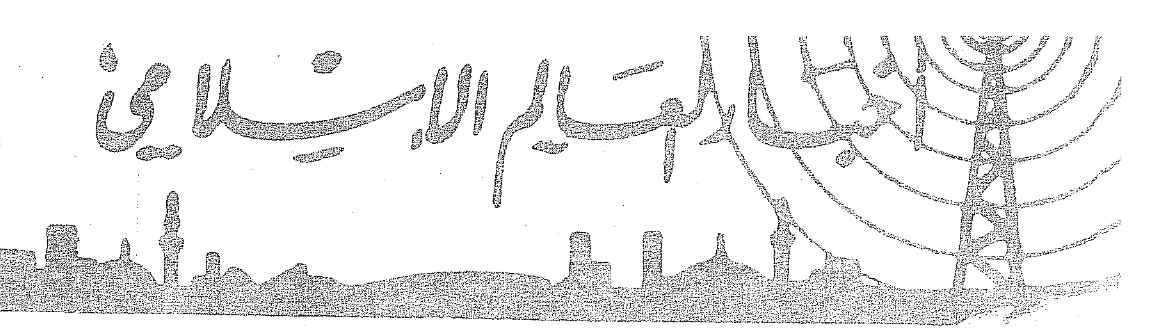
نشرت صحيفة اخبار العالم الاسلامى السعودية ما ياتى :

اتخذت ليبيا الشريعة الاسلامية مصدرا اساسيا للقوانين ، هذه الخطـوة لها مغزاها العميق الرائع فى سير الأحداث التى تتابع على منطقتنا العربية .

لقد اعلنت جمهورية مصر ومن قبل جمهورية اليمن أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الاساسى الذى سيقوم عليه تقنين القوانين فى مصر ، واليمن . بعد ان ثبت ان الأمة العربية المتمسكة بدينها وبأصالة تاريخها لن تتخلى عن قيمهـا وتراثها ، فخطوة جمهورية ليبيا اليوم واعلانها بجعل الشريعة الاسلاميـة هى الاساس الاول الذى تسن بموجبه كافة القوانين المدنية ، التى يحتاج اليهـا سير الحياة اليومية فى القطر الليبى ، هذه الخطوة تؤكد من جديد تصميم الشعوب العربية على تمسكها بدينها واصرارها على رفض كل ما يخالف هذه الشريعة أو يمس بحقوقها وواجباتها .

وايضا كان اللواء النميرى رئيس جمهورية السودان قد أعلن قبل فترة بأن شعب السودان شعب مسلم حريص على تقاليـده ومعتقداتـه ، وان دستـور السودان المقبل سيكون مبنيا وقائما على عقيدة هذا الشعب . فالاسلام هذا الدين العظيم الذى أعطى الأمة العربية امجادها ، وبعث فيها العزة والكرامة ، وصان مقدساتها ، وحفظ اصالتها ، هذا الدين العظيم جدير بهذه الأمة أن تكون وفيـة لمبادئه ، حريصة على تعاليمه منفذة لأوامره . . ساعية ما بلغها السعى فى سبيل تحقيق اهدافه وتطبيق تعاليمه على حياتها اليومية فى كل مجالاتها ، وتطبيق تعاليمه على حياتها اليومية فى كل مجالاتها ، حيث أنه يملك العطاء الكامل لمنـح هذه الأمة من جديد عزتها المهدورة وكرامتها المسلوبة ، ومجدها الضائع اذا هى عادت اليه معتزة بتعاليمه ، متمسكة بأهدابه .

نسأل الله سبحانه أن يعيد الى أمتنا الاسلامية اعتزازها بدينها ، ونصرها على اعدائها .



اعداد الاستاذ : ع. ب

الكويت : ادلى معالى وزير الخارجية ببيان فى مجلس الامة حول الاحتلال الايرانى لبعض الجزر جاء فيه ان موقف الكويت من موضوع الجزر نابع من ايمانها المطلق بعروبة هذه الجزر تاريخيا وبشريا وواقعيا .

● اجتمع معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بالامين العام للجامعة الاسلامية فى باكستان وتناول البحث أوضاع المسلمين هناك .

● أعلن معالى وزير الداخلية والدفاع أن جمع شمل العرب ضرورى لاستعادة الاراضى المحتلة ، وان الكويت أميرا وحكومة وشعبا سيظلون بجانب مصر .

● تجرى المباحثات بين الكويت والاردن كى يزود الصندوق الكويتى للتنمية العربية مشروع انشاء سد الزرقاء وتقدر تكاليفه بحوالى خمسة ملايين دينار .

● بعثت الكويت (٣٢٠) صندوقا من الكتب والمراجع المدرسية والمقررات المدرسية هدية الى المسلمين فى أندونيسيا .

● بلغ عدد الخريجين بالكويت من سنة ١٩٦٦ — ١٩٧٠ — ١٢٠٠ مدرس كويتى .

● طلبت وزارة الشئون الاجتماعية من جمعية الاصلاح الاجتماعى تنظيم دورة لتحفيظ القرآن الكريم فى مراكز الشباب التابعة للوزارة .

القاهرة : قررت مصر تحرير الارض المحتلة بعد أن رفضت اسرائيل لمدة أربع سنوات تنفيذ قرار مجلس الامن لحل المشكلة ، كما رفضت التعاون مع ممثل الامم المتحدة وكل الجهود السلمية .

● بحث وزراء الخارجية والدفاع ورؤساء الاركان العرب خطط المستقبل من أجل المعركة .

● تقرر تدعيم العلاقات الثقافية الاسلامية بين جمهورية مصر العربية ، وكل من الاردن وأفغانستان واليابان وتزويد هذه البلاد بالمكتبات الاسلامية وتبادل الخبرات بينها وبين مصر .

● يجرى حاليا دراسة توحيد المناهج للتعليم الثانوى بين دول اتحاد الجمهورية العربية ، وسيتم توحيد المناهج فى التعليم الاعدادى فى العام الدراسى ٧١ — ٧٢ .

السعودية : صرفت وزارة المالية مساعدات الى عدد من المؤسسات الاسلامية فى مقديشو وغانا وجنوب الهند والاردن .

● حذرت رابطة العالم الاسلامى الشركات السينمائية من تمثيل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو شخصية أحد من أصحابه رضى الله عنهم .

● أقامت ادارة التعليم بمكة المكرمة اسبوعا للقرآن الكريم ، وقد تبرع جلالة الملك فيصل لجماعة تحفيظ القرآن الكريم بمبلغ (٢٠) ألف ريال .

● تم صرف مبلغ (٤٢٧,٠٠٠) ريال سعودى تكاليف طبع (٥٠,٠٠٠) نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة اليابانية وهى أول ترجمة بهذه اللغة .

العراق : تبذل العراق جهودا ديبلوماسية من أجل العمل على توحيد الجهد العربى فى مواجهة اسرائيل وحماية عروبة الخليج .

● ابدت العراق استعدادها لبذل المساعدة فى نهضة الامارات العربية وانجــاح اتحادها .

الاردن : تواصل اسرائيل تنفيذ مخططاتها لتهويد القدس عن طريق بناء المستعمرات ، وهــدم البيوت العربية ، ثم فتح الباب الذهبى المؤدى الى داخل الحرم القــدسى والمغلق منــذ مئات السنين .

ســوريا : ستقوم وزارة الخارجية السورية بحملة اعلامية ودبلوماسية على نطاق واســع لتفنيد ادعاءات اسرائيل بشان اليهود فى سوريا .

● عقد فى دمشق مؤتمر الكتاب العرب الثامن فى الفترة من ١١ ــ ١٦ ديسمبر .

لبــــنان : شكل المجلس الاسلامى الاعلى لجنة لدراسة أوضاع العلماء فى لبــنان ورفع مستوى التعليم الدينى .

ليبيا : بدات لجنة من فقهاء القانون والشريعـــة الاسلامية فى وضع قانون اسلامى جديد للاحــوال الشــخصية .

● سجل حوالى (٢٠) الف حاج ليبى اسماءهم لاداء فريضة الحج وهو رقم قياسى لم يسبق من قبــل .

● اغلقت ليبيا متاجر الخمر والمتاجر المشبوهـــة ، واعلن عن عرض القوانين على الشريعة الاسلامية ، وترك القوانين التى لا تتمشى مع هــذه الشريعة .

● صدر فى ليبيا قانون تجبى بمقتضاه الزكاة طبقا لاحكام الشريعـــة الغراء .

تــــونس : بعث الرئيس الجزائرى هوارى بومدين رسالة للرئيس التونسى مع رئيس جبهة التحرير الجزائرى تتعلق بالمشكلات التى تهم أفريقيا الشمالية والشرق الاوسط .

المغـــرب : بلغ عدد الجمعيات الثقافية التى تتقاضى المساعدات من وزارة الثقافة والتعليم العالى (٢٧٤) جمعية .

الصومال : قام الرئيس الصومالى محمد زياد بجولة لزيارة مصر والسعودية وسوريا أجرى مباحثات هـــامة استهدفت تدعيم العلاقات بين هــذه البلاد الاسلامية .

اتحاد الامارات العربية : اعلن فى الشهر الماضى فى (أبو ظبى) عن قيام دولة اتحاد الامارات العربية ، وقد انضمت الدولة الجديدة الى الجامعـــة العربية والامم المتحدة .

● تم فتح الطريق الذى انجزته وزارة المواصلات السعودية لربط امارات الخليج العربى بعضها ببعض ، وبالمملكة العربية السعودية .

اليمــــن : فرضت ضريبة على طوابع البريد وتذاكر دور الملاهى جعل ريعهــا لتعليم الاميين فــى البــــلاد .

اندونيسيا : انشىء معهد اسلامى فى جاكرتا للفقه الاسلامى بهــدف المساعدة فى وضع القوانين واصدار مجلــة اسلامية ودائــــرة معــارف اسلامية كذلك .

ماليزيــا : افتتح ملك ماليزيا فى الشهر الماضى المسابقـــة العالمية فى تلاوة القرآن الكريم اشتركت فيهــا (١٤) دولة اسلامية وحكم المسابقة علمـــاء من مصر والسعودية والكويت والمغرب .

● اقيم فى الفترة ١١/٥ ــ ١٢/٥ فى المسجد الوطنى فى كوالا لامبور مـعـرض اسلامى موضوعه (الاسلام ومساهمته فى تنمية العلم والتكنولوجيا) .

باكستان : اشتعلت نيران الحرب بين الهند وباكستان بعد تأزم العلاقات واشتد الخلاف بين البلديــن بســبب باكستان الشرقية .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : مكتبة مكة ــ السيد عوض با عامر ــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشـعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

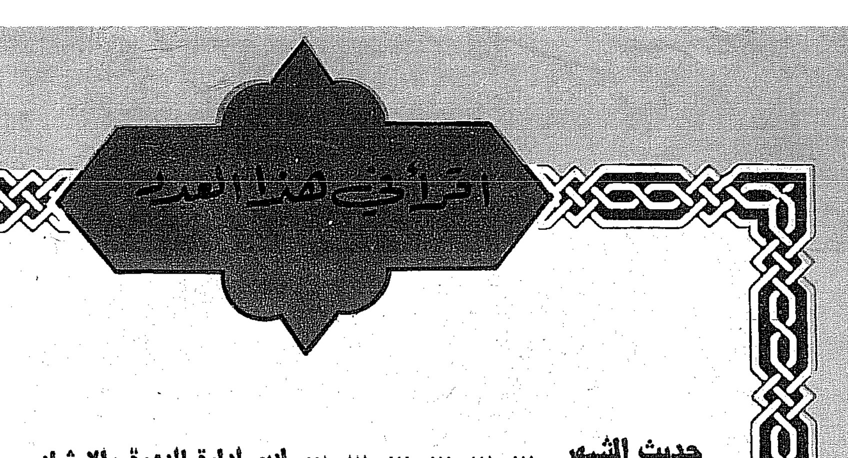
دبـــى : مكتبة ومطبعة دبى ــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

قطـــر : مكتبة الثقافة ــ السيد سالم الانصارى ــ الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية – الكويت